وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

أثر الصوت والسياق في بيان المعنى في الحديث النبوي الشريف

(كتـاب الرقائق من صحيح البخاري "أنموذجا ")

مذكرة تخرج من متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص : اللسانيات العربية

إعداد الطالبين :

- عيسى بودشيشة

- فخر الدين مقدم

إشراف : أ. د .أبو بكر حسيني

السنة الجامعية: 2020/2019

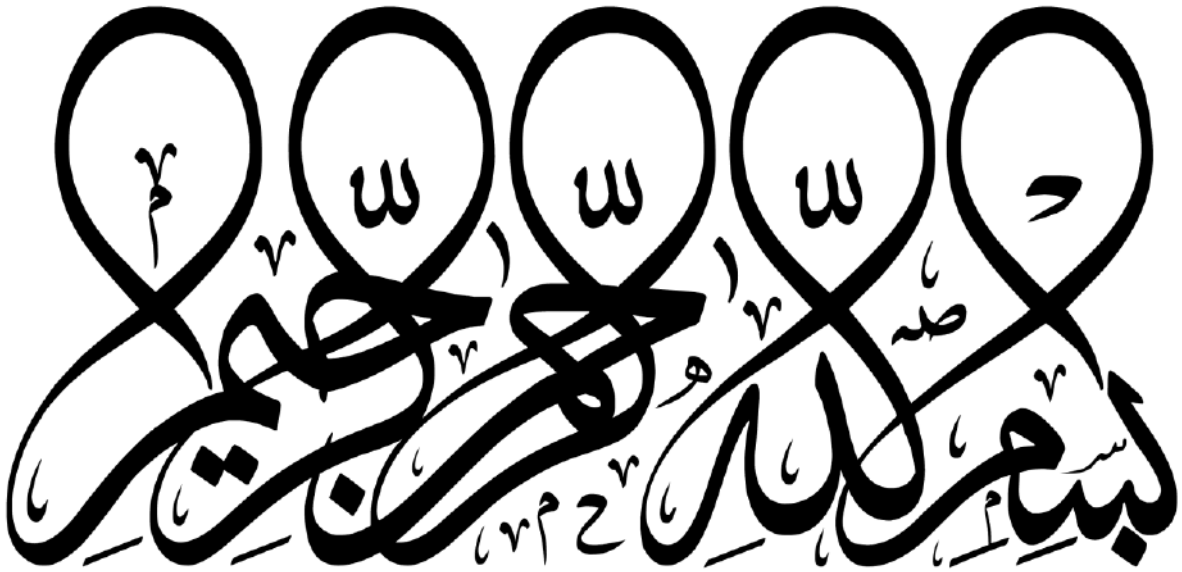
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى:

روحي أبي الغالي رحمه الله ، من حثني على العلم رغبه ورهبة، والذي طالما افتخرت به حيا وميتا ، جزاه الله عني كل خير .

إلى :ذات القلب الرحيم ، أمي الرؤوم التي أشهد أنها أدت أمانة الأمومة على وجهها.

إلى كل إخوتي وأخواتي وكل أفراد عائلتي حفظهم الله.

إلى كل أقاربي وخاصة من كانوا سندا لي: عبد القادر ، عصام ، رشاد ، بهاء الدين ، رياض ، وزينب.

إلى أعز زميلين جمعتي بهما الجامعة عيسى وعبد الرحمان.

إلى مشايخي وأساتذتي.

أهدي هذا العمل آملا أن تكون الهدية على حق قدرهم.

فخرالدين مقدم

الإهداء

إلى من كنت وسأبقى أرفع بهما رأسي

دوما صاحبي الفضل علي في هذه الحياة

والدي حفظهما الله ورعاهما

إلى من تدعمني دائما زوجتي العزيزة

إلى فلذات كبدي ونور عيني زيد ومريم

إلى إخوتي وأخواتي ، و إلى من

صاحبوني في مساري الدراسي فكانوا خير الأصدقاء

إلى كل هؤلاء أهديهم عملي المتواضع ثمرة

مجهوداتي، ومحصلة دراستي.

عيسى بودشيشة

شكر وعرفان

الشكر والحمد لله العلي القدير رب العالمين نحمده سبحانه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه والصلاة والسلام على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

نتوجه بجزيل الشكر والتقدير والعرفان إلى الأستاذ الدكتور المشرف: أبو بكر حسيني على دعمه وتوجيهاته السديدة .

والشكر موصول لكل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي الذين اغترفنا من مناهل علمهم

جزى الله الجميع عنا كل خير

عيسى بودشيشة / فخر الدين مقدم

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمّد، سيد الأبرار، وزين المرسلين الأخيار، وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين:

وبعد:

فإن للغة العربية مميزات أهلتها لحمل كلام الله عزّ وجلّ، وحمل بيانه على لسان النّبيّ محمد صلّى الله عليه وسلم، ومن أجلّ علوم اللغة علم الأصوات الّذي حظي بنطاق واسع من الدراسة قديما وحديثا وكون الأصوات هي أول شكل ظهرت عليه اللغة من جهة، ولأهمية هذه الأصوات في الكشف عن المعاني المختلفة من جهة أخرى، ولهذه الأصوات اللغوية المشكلة للكلام سياقات مختلفة تفرض اختيارها دون غيرها وذلك للمناسبة الوطيدة بين الحديث والحدث الذي قيل من أجله، ولهذا فقد حظي السياق – هو الآخر – باهتمام الدّارسين قديمًا وحديثًا لخطورته البالغة في إبراز أغراض الكلام ومراميه، لذا تهدف هذه الدراسة – الموسومة بـ(أثر الصوت والسياق في بيان المعنى في الحديث النبوي « كتاب الرقائق من صحيح البخاري "أنموذجا" – للوقوف على مواطن أثر الصوت والسياق في الكشف عن المعاني في بعض الاختيارات القولية في الاحاديث النبوية، واختيارنا لهذا الموضوع جاء بناء على عده أسباب أهمها:

– جِدّة الدراسات الصوتية للحديث النبوي مقارنة بالدّراسات القرآنية والشعرية.

– توصيات العديد من العلماء من قدماء ومحدثين بأن مجال علاقة الصوت بالمعنى يحتاج إلى بحث وتعمق جيدين.

– انجذابنا إلى خاصية توافق الأصوات مع معانيها فيما قدمه العلماء كابن جني.

– الرغبة في اكتشاف جانب مهمّ من تعامل العربي القديم قوليا في المواقف والسياقات المختلفة وخاصة كيف كان ذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم.

– أردنا أن نتعرّف على جانبين من أحاديث الوعظ؛ الظروف المحيطة بها، والألفاظ المناسبة لهذه الظروف.

– اقتناعنا – حسب المطالعات المختلفة – بوجود بعض الألفاظ في العربية لها علاقة بمعانيها تحتاج إلى بحث وتقصي.

– أما اختيارنا لمدونة (كتاب الرقائق) فلأنه يجمع بين أحاديث الترغيب والترهيب التي تُرِقُّ القلوب، ولها جانب تأثير مباشر ينطبع على نفس السّامع؛ لذا فهذه الأحاديث أكثر جانب تتجلى فيه تأثيرات الأصوات في إبداء معاني الشدة والرقة والإيحاءات المختلفة، كما أن هذه الأحاديث من أكثر ما تظهر فيه تقلبات السياق والمقام.

وفكرة البحث هذه تنطلق من اشكالية أساس هي:

كيف يمكن توظيف آليات علم الأصوات والسياق في إبراز معاني ألفاظ الحديث الشريف؟

وللاجابة عن هذه الإشكالية جزأتها الدراسة إلى أسئلة فرعية هي:

أ) كيف تسهم إيحاءات الأصوات مفردة في إبراز المعنى العام للفظّة بعد تلاقي مجموع إيحاءات أصواتها؟

ب) ما مدى توافق إيحاءات الأصوات مع طبيعة أحاديث الرقائق التي تجمع بين الترغيب والترهيب؟

ج) كيف يؤثر سياق الحال والسياق اللّغوي في اختيار بعض الألفاظ والتعابير دون غيرها في أحاديث الرقائق؟

ومن أهم الدراسات السّابقة الّتي تناولت الأحاديث الشريفة صوتيا و سياقيا نذكر:

1 –(البلاغة الصوتية في الأحاديث النّبوية) لمدحت حسيني حسيني ليمونة، جامعة الأزهر مصر.

2 –(القصة في الحديث النبوي – دراسة اسلوبية –) لكريمة حجازي، مذكرة دكتوراه، جامعة باتنة، 2017 ـ 2018.

3 –(القيمة التعبيرية للتشكيل الصوتي في – صحيح البخاري–) لجمال بن دحمان، مذكرة ماجستير، جامعة أحمد خيضر بسكرة 2003 –2004.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة السير وفق خطة مكونة من فصل تمهيدي، وفصلين آخرين؛ نظري، وتطبيقي، وخاتمة؛ فالفصل التمهيدي تناولنا فيه مفهوم الصّوت العام، ومفهوم الصوت اللغوي الخاص بالإنسان، ودرسنا مخارج الأصوات وصفاتها عند (ابن جني) وتناولنا أيضا تعريف السياق، وذكرنا أنواعه، ومكوناته، ومرادفاته عند العلماء القدامى.

أمّا الفصل الأول: فكان فصلا نظريا بعنوان (فصاحة النبي وبلاغته بين السلف والخلف) وبه مبحثان: عُنون أولهما بـ(فصاحة منطقه صلى الله عليه وسلم)، تناولنا فيه ذكر فصاحته في الحديث، والأثر، وعند العلماء، والمبحث الثاني بعنوان (ما جاء في بلاغته صلى الله عليه وسلم) وتحدثنا فيه عن حسن بلاغته وتأثيره في المتلقي.

وأمّا الفصل الثاني: فكان فصلا تطبيقيا بعنوان (أثر الإيحاء الصوتي والسياق في إبراز المعنى في كتاب الرقائق من صحيح البخاري)، وتناولنا فيه مبحثين؛ المبحث الأول (بعنوان أثر الإيحاءات الصّوتية في تصوير المعنى) وتناولنا فيه إحدى عشر كلمة توحي أصواتها بمعانيها وهي مرتبة كالآتي:

(نهش – حبطا – نفح – نفط – صعق – يكفأ – الثعارير – الضغابيس – امتحشوا – ضحضاح – قشبني).

وأمّا المبحث الثّاني فكان بعنوان: (أثر السّياق في اختيار الألفاظ والتعابير) تناولنا فيه مناسبة السجع للسياق، وكذلك مناسبة والألفاظ للسّياق.

أمّا عن المنهج الذي سارت الدراسة وفقه فهو المنهج الوصفي مرفق بأداة التحليل.

ومن أهم المصادر الّتي استند عليها هذا البحث، فهي كالتالي:

- (فتح الباري بشرح صحيح البخاري)، لأبي حجر العسقلاني.
- (شرح الكرماني)، للكرماني.
- (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، لمصطفى صادق الرافعي.
- (الخصائص) و(سر صناعة الإعراب) لابن جنّي.
-(خصائص الحروف العربية ومعانيها)، لحسن عباس.
- (تهذيب المقدمة اللغوية)، لعبد الله العلايلي.
- (العبقرية العربية في لسانها) لزكي الأرسوزي

ولا شك أن في كل مجهود مبذول مواجهة صعوبات، وقد واجهتنا في بحثنا هذا بعضا منها وأبرزها:

أ) صعوبة التواصل مع بعض في العمل – في ظل الجائحة – مما يُخلُّ بالتّنسيق أحيانا.

ب) لم تُتح لنا فرصة استعارة الكتب من المكتبة الجامعية.

وفي الأخير نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور أبو بكر حسيني الذي أشرف علينا ووجهنا إلى ما فيه خير عملنا، حتى ظهر هذا العمل على هذا الوجه الذي ارتضيناه، ونأمل أن يُنال بالقبول والرضا من غيرنا.

عيسى بودشيشة / فخر الدين مقدم

بتاريخ : 23 محرم 1442 هـ الموافق لـ 2020/09/11م

الفصل التمهيدي

لاشك أن اللغة نتاج إنساني فرضته ضرورة التواصل وحاجة الفرد للتعبير عن أغراضه وما يجول في خاطره من أفكار يسعى لإيصالها لغيره ممن يشاركه الاجتماع، ومنه فكان لابد من إصدار شيء أو أشياء تكون مدلولات عن مسميات أو تعابير تعرف في إطار السياق المتعارف عليه وسط الجماعة الواحدة، فكان هذا الشيء الدال هو الصوت اللغوي الذي يصدر عن الانسان، ولذا قيل إن " اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" [1]، ولعل الواقف بصدد دراسة لغوية للغة في مجالها التواصلي فإنه ولا شك سيتعرض . أولا . إلى كونها أصوات صادرة عن الإنسان وإلى كون هذه الأصوات مختارة لسياقات مناسبة معينة لها وهذا ـ طبعا ـ قبل أن يتعرض لها أول نشاط إنساني خاص بها ألا وهو الكتابة.

وبالتالي فإن من متطلبات فهم أثر الصوت والسياق في الوظيفة التواصلية للغة معرفة مفهومي الصوت والسياق و متعلقاتهما ليتسنى لنا فيما بعد استشعار أثرهما في أحاديثه صلى الله عليه وسلم، ومدى تجسيدهما للمعنى وكذا الانطباعات النفسية في المستمعين الناجمة عن حسن اختياره ـ عليه الصلاة و السلام مقاله لمقامه.

[1] ـ ابن جني: الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر، ج1، دط، دت، ص 33

أولا الصوت:

للوصول إلى مفهوم الصوت اللغوي الصادر عن الإنسان وجب أن نشقق المفهوم العام للصوت ليمتاز مقصودنا عن المفاهيم الأخرى بحد مانع لغيره الدخول فيه.

المفهوم العام الصوت :

" الصوت من صاتَ يصُوتُ نادى كأصَاتَ وصَوَّت ورجل صاتٌّ صيِّتٌ[1] "

وجاء في لسان العرب في مادة صوت:

" الصوت الجرس ... ويقال صوّت بصوت تصويتا، فهو مصوّت وذلك إذا صوت بإنسان فدعاه ويقال يصوت صوتا، فهو صائت وغيره معناه الصائح، ابن السكيت الصوت صوت الإنسان وغيره والصائت الصائح"[2] وقال الخليل كل ضرب من الأغنيات صوت من الأصوات" [3] و أما عن سبب وقوعه يقول ابن سينا " أظن أن الصوت سببه القريب تموج الهواء دفعة بسرعة وبقوة من أي سبب كان " [4] ويقصد هنا بالسبب المصدر أو المصادر التي يتأتى منها الصوت، و لقد كان لإخوان الصفاء لفتة مهمة في إجمال هذه المصادر وتصنيفها الى

[1] - الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مادة (صوت) .

[2] - جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، مادة (صوت)

[3] – الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي،ج7، ص 146 - أبو عبد الرحمان

[4] - أبو علي الحسين بن عبد الله ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، تح، محمد حسان الطيان ويحي مير علم، مجمع اللغة العربية، دمشق، دط، دت، ص 56.

أنواع, فكان هذا في رسالتهم الخامسة بقولهم " فاعلم يا أخي أن الأصوات نوعان: حيوانية وغير حيوانية، و غير الحيوانية أيضا نوعان: طبيعية و آلية، فالطبيعية هي كصوت الحجر والحديد والخشب و الرعد و الريح و سائر الأجسام التي لا روح فيها من الجمادات، و الآلية كصوت الطبل و البوق و الزمر و الأوتاد وما شاكلها، و الحيوانية نوعان: منطقية وغير منطقية؛ فغير المنطقية هي أصوات سائر الحيوانات غير الناطقة، و أما المنطقية فهي أصوات الناس، وهي أيضا نوعان: دالة و غير دالة فغير الدالة كالضحك و البكاء و الصياح؛ و بالجملة كل صوت لا هجاء له، و أما الدالة فهي الكلام و الأقاويل التي لها هجاء"[1] و يمكن تدوين هذا التفصيل ضمن مخطط توضيحي كالآتي :

[1] إخوان الصفاء وخلان الوفاء : رسائل إخوان الصفاء ، مراجعة: خير الدين الزركلي، مؤسسة هنداوي ،سي آي سي المملكة المتحدة، دط، 2018 ، ج1، ص 165

الشكل الهندسي :

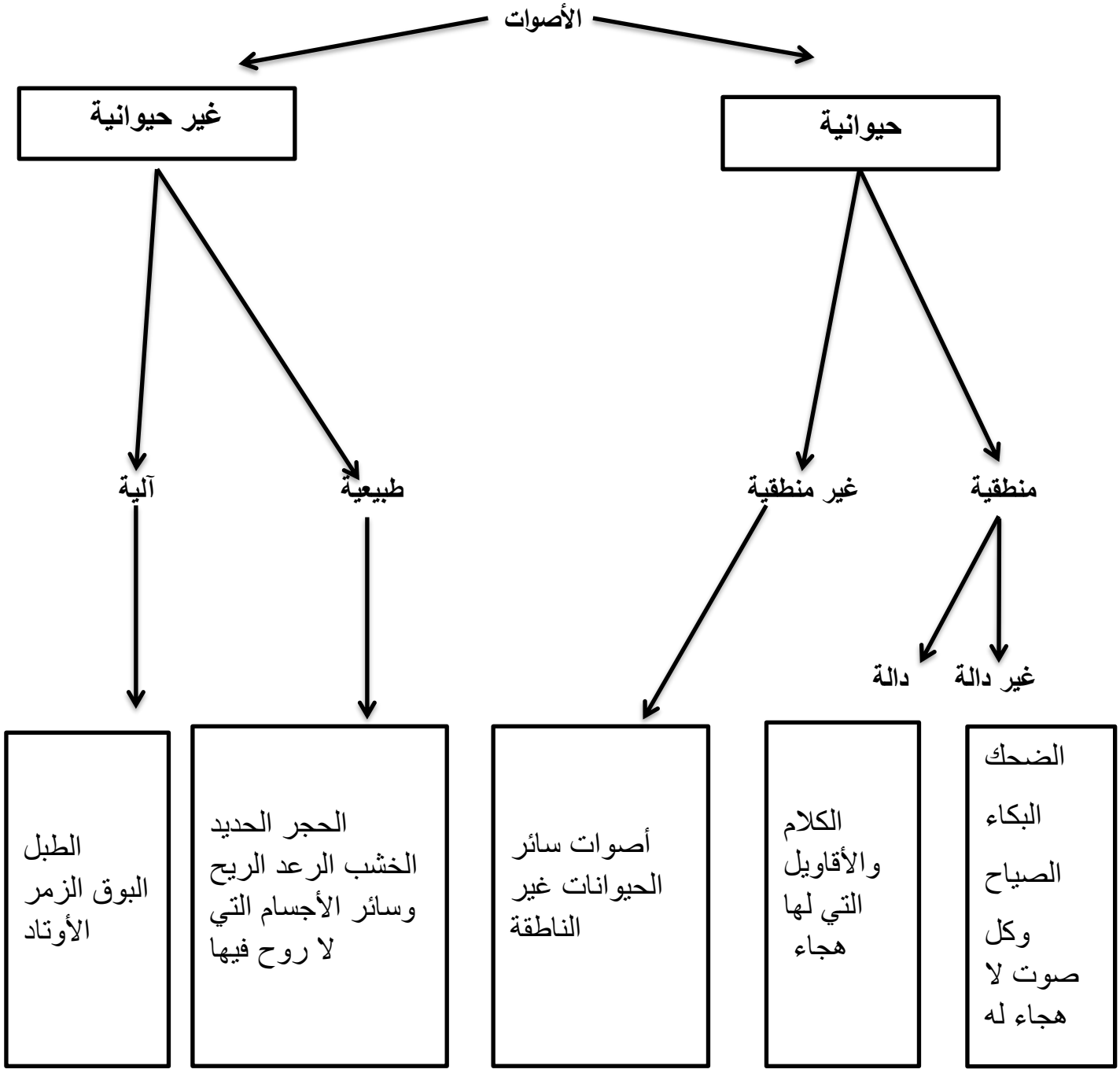

(رسم توضيحي لتقسيم إخوان الصفاء الأصوات إلى أنواع وما ينطوي تحت كل نوع)

في قراءة هذا المخطط التشذيري للأصوات ما يهمنا منه هو شقه الأيمن؛ من كون الأصوات حيوانية، و من الحيوانية ما هي منطقية ومن المنطقية ماهي دالة ؛ و هذه الأصوات الدالة هي الصوت اللغوي الخاص بالإنسان حصرا.

إن الصوت اللغوي مجال دراسة واسع و ممتد من القدم إمتدادا تاريخيا و جغرافيا ؛ إذ تناولته معظم الحضارات، و نجد في توراثنا العربي العديد من العلماء قد برعوا في دراسته ، فكان بذلك للعرب فضل السبق على العديد من الحضارات الغربية بشهادة المستشرق الألماني برجشسترآسر الذي قال:" لم يسبق الغربيين في هذا العلم إلا قومان، أهل الهند و يعني البراهمة، و العرب"[1]، و من العلماء الذين كان لهم فضل على الدرس الصوتي العربي ابن جني (ت392هـ) الذي خصص كتابا يعنى بالدرس الصوتي أسماه (سر صناعة الإعراب) و هو ما لم يسبقه إليه أحد، فلقد كانت الجهود التأسيسية الأولى لدراسة الأصوات مع الخليل ابن أحمد الفراهيدي ومن بعده تلميذه سيبويه، إلا أنهما لم يخصاها بكتاب خاص بها كما فعل ابن جني؛ كما أن دراستهم لها لم تكن عندهم غاية بقدر ما كانت وسيلة ؛ فالخليل درس الأصوات العربية وما يتعلق بها للخلوص إلى ترتيب هجائي منطقي يبني عليه معجمه (العين) فغرضه المنشود من تأليف كتابه هذا لم يكن من أجل الأصوات و لذاتها فقد صرح صاحب تحقيق هذا الكتاب بغرض الخليل من هذا المؤلف بقوله : " كان الخليل فكر و أطال التفكير في وضع كتاب في

[1] ـ برجشسترآسر: التطور اللغوي، نقلا عن، هيام سليم عبد اللطيف ناصيف: الدرس الصوتي في شافية ابن الحاجب وشرحه للأستراباذي، مذكرة ماجستير في اللغة العربية وأدابها، جامعة النجاح، نابلس، 1424هـ- 2003م، ص21.

اللغة يحصر لغة العرب كلها، لا تفلت منه كلمة ولا يشذ منها لفظ، و هداه عقله الناقد الفاحص إليه"[1] و بالتالي فالفكرة النواة من هذا المؤلف لم تكن مركزة على الأصوات بحسب هذا القول، و أما عن سبويه فقد قدم درس الأصوات كتمهيد و كمتطلب مهم من متطلبات فهم درس الإدغام لديه، و هو نفسه من صرح بذلك قائلا : " و إنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام و ما يجوز فيه و مالا يحسن فيه ذلك ولا يجوز"[2] و بخلاف ذلك ـ كما أسلفنا الذكر ـ آثر ابن الجني أن يتصدى لهذا العلم بكتاب خاص به فقال: " رسمت ... أن أضع كتابا يشتمل على جميع أحكام حروف المعجم و أحوال كل حرف منها و كيف مواقعه في كلام العرب و أن أتقصى القول في ذلك و أشبعه و أؤكده"[3] ، فمن هذا الاقتباس تبدو الغاية من الكتاب جلية؛ و هي دراسة الأصوات في ذاتها و لذاتها ، لذا فإن هذا البحث سيعتمد في دراسته للأصوات اللغوية على هذا المصدر المهم.

إن أول ما استفتح به ابن جني درسه للصوت اللغوي قوله: " اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق و الفم و الشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده و استطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا، و تختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف

[1] ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، ج1، ص 15

[2] ـ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، تح:عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1402هـ1982م، ج4، ص 436.

[3] ـ أبو الفتح عثمان بن جني: سر صناعة الإعراب، تح: حسن الهنداوي، دط، دت، ص 3.

مقاطعها "[1]، فهذا النص و بالرغم من قصره فهو يحمل من المعاني ما يلخص كل مراحل العملية التصويتية عند الإنسان فابتدأ هذا النص يقوله: إن الصوت عرض؛ و العرض في اللسان " ما يوجد في حامله و يزول عنه من غير فساد حامله "[2] ؛ فالعرض إذن هو الشيء الذي يحتاج في كينونته إلى غيره، فهو لا يوجد إلا بوجود حامله، فالصوت عند ابن جني هو عرض لا يخرج إلا بوجود حامله و هو النفس الذي يدفعه و لعل خير دليل على العلاقة الوطيدة بين الصوت والنفس – و التي هي ضرورية – أن الإنسان حين يكون غاطسا في الماء فإنه يتعذر عليه الكلام لانعدام الهواء الذي يحمله، وهذا شأنه شأن رواد الفضاء الذين نشاهدهم يتواصلون فيما بينهم بالإشارات التي هي عوض عن الكلام الذي لا يتأتى لهم للسبب ذاته، ثم تعرض ابن جني في كلامه إلى المناطقة أو ما وجدناه في بعض الكتب بمسمى الأحياز التي على مستواها يتم اعتراض النفس الخارج بالصوت وهي (الحلق والفم والشفتان) وطبعا اعتراضها لهذا النفس هو عملية واعية بحسب الحاجة التعبيرية للإنسان من الحروف التي يشكل بها الكلمات ثم الجمل...إلخ، وهذا في ذكره للمقاطع التي هي وقفات للصوت، فتعد كل وقفة من الوقفات حرفا من الحروف كما أن هذه الحروف تتمايز فيما بينها بحسب كل وقفة، وهذا التمايز هو ما بات يعرف في هذا المجال بصفات الحروف التي سنأتي على ذكرها لاحقا.

[1] –السابق : ص 6

[2] ـ ابن منظور: لسان العرب، مادة (عرض)

اعتمادا على ما سبق ذكره وختاما بمقولة ابن جني يمكن لنا أن نكون تعريفا للصوت اللغوي حسب فهمنا المتواضع نحترز فيه قدر الإمكان أن يكون جامعا مانعا.

مفهوم الصوت اللغوي: هو الصوت الصادر عن جهاز النطق عند الإنسان حصرا، الممكن هجاؤه، الدالّ على مفهوم معين عند سامعه.

إن هذا الصوت تنتظمه ثلاث جوانب أجملها كمال بشر في" الجانب العضوي الفيزيولوجي phsiolgiah أو النطقي الأوكسيتيكي acdustictq أو الفيزيائي phyaical ويتصل الجانب الأول بأعضاء النطق وأوضاعها وحركاتها، والثاني بتلك الآثار التي تنتشر في الهواء في صورة ذبذبات صوتية تصل إلى أذن السامع، فتحدث فيه تأثيرا معينا، وهناك جانب ثالث هو السمعي audifaug وهذا الجانب نفسه له جهتان، جهة فيزيولوجية خاصة بأعضاء السمع وجهة عقلية أو نفسية psgcbologi خاصة بالعملية النفسية التي تتبع إدراك السامع للأصوات"[1]، إن هذا البحث يهتم بكل هذه الجوانب الثلاثة، وخاصة الجانبان الأول والأخير، فالأول متعلق بكيفية إنتاج الإنسان للأصوات، وهو ما يخدم مبحث كيفية نطق النبي صلى الله عليه وسلم للأصوات، أما الجانب الأخير فيتعلق بما توقعه الأصوات في نفسية السامع وتأثيرها فيه، ومن بين ما تطرق إليه ابن جني في كتابه ذكر الحروف وترتيبه لها حسب مخارجها على ما ارتضاه من ترتيب السابقين لها فاختار ترتيب سيبويه، الذي هو على هذا النحو: "الهمزة،

[1] ـ كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، دط، 2000م، ص 119

الألف، الهاء، العين، الحاء، والغين، والخاء، والفاء، والقاف، والكاف، والجيم، والشين، والياء، والضاد، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو"[1]. وقد أقر بهذا الرتيب على حساب ترتيب الخليل لها، إذ رأى بعض القصور فيه ذهب إليه فقال:" هذا ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها وهو الصحيح، فأمر ترتيبها في كتاب العين، ففيه خطل واضطراب ومخالفة لما قدمناه آنفا، مما رتبه سيبويه وتلاه أصحابه عليه وهو الصواب الذي يشهد المتأمل له بالصحة"[2]

ثم ذكر بعد ذلك مخارج الحروف والتي عددها ستة عشرة حسب عد سيبويه لها كالآتي :

1 ـ أقصى الحلق : مخرج الهمزة والألف والهاء.

2 ـ وسط الحلق : مخرج العين والحاء.

3 ـ ما فوق ذلك مع أول الفم : مخرج الغين والخاء.

4 ـ ما فوق ذلك من أقصى اللسان: مخرج القاف.

5 ـ من أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف.

6 ـ من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى: مخرج الجيم، والشين، والياء.

[1] ـ ابن جني: سر صناعة الإعراب، ص 45

[2] ـ نفسه ، ص 45 ، 46

7 ـ من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس: مخرج الضاد.

8- من حافة اللسان إلى أدناه إلى منتهى طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب الرباعية: مخرج اللام.

9- من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا: مخرج النون .

10- من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام : محرج الراء.

11- من بين طرف اللسان وأصول الثنايا: مخرج الطاء والدال والتاء.

12- من بين الثنايا وطرف اللسان: مخرج الصاد، والزاي، والسين.

13- من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا: مخرج الظاء، والدال، والثاء.

14- من باطن الشفه السفلى وأطراف الثنايا العليا: مخرج الفاء.

15- مما بين الشفتين: مخرج الباء، والميم، والواو.

16- من بين الخياشيم: مخرج النون الخفية.[1]

[1] ـ السابق، ص 46...48

من الملاحظ أنه قد يجتمع في مخرج هذه المخارج أكثر من حرف، فكان لا بد من العثور على مميزات أخرى تمنح خصوصية لكل حرف من هذه الحروف، لذا فقد وضع العلماء ما يُسمى بصفات الحروف والتي هي متجسدة في أربعة ثنائيات متضادة وهي أساسية:

1-الجهر والهمس:

- المجهور: هو حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينتهي الاعتماد ويجري الصوت.

- المهموس: عكس المجهور إذ هو حرف أضعف الاعتماد عليه في موضعه حتى يجري معه النفس.

2 ـ الشدة والرخاوة والتوسط بينهما:

ـ الشديد: هو الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه كالطاء والقاف في كلمتي (الشط، والحق) فالصوت لا يجري بعدهما.

ـ الرخو: هو الذي يجري فيه الصوت كالسين و الشين في كلمتي (المس، والرش)

3 ـ الإطباق والانفتاح:

ـ الإطباق: هو رفع ظهر اللسان إلى الحنك الأعلى مطبقا له، مثاله النطق بحرف الطاء.

ـالانفتاح : فهو بالعكس من ذلك.

4 ـ الاستعلاء و الاستفال:

- الاستعلاء: أن تتصعد في الحنك الأعلى.

- الاستفال: هو النطق بالحرف من غير تصعُّد في الحنك الأعلى.

تعد هذه الصفات الثمانية المتضادة صفات أساسية لا بد من أن تمس كل الحروف؛ بمعنى أن الحروف إذا لم تكن فيه صفة فلا بد أن تكون فيه نقيضتها، أو ما هو متوسط بينهما، وتوجد هناك صفات فرعية إضافية لهذه تخص بعض الحروف فقط وهي :

ـ الانحراف: ذلك أن اللسان ينحرف فيه مع الصوت وهو اللام .

ـ المكرر: وهو الراء ذلك أنه عد الوقف عليه يتعثر اللسان بتكراره .

ـ الهتت: المهتوت هو الهاء لما فيه من الضعف والخفاء.

ـ الإذلاق: حروفه سميت بذلك لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان وهو طرفه.

ـ الإصمات: وهو عكس الإذلاق.[1]

سنوضح الرؤية في صفات الأصوات هذه وتصنيف كل صوت في خانة خاصة به نجمل فيها الصفات المتعلقة به في الجدول التالي:

[1] ـ ينظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، ص 60...64.

الأصوات	صفـاتـها													مجموع صفات كل صوت
	الجهر	الهمس	الشدة	الرخاوة	الإطباق	الانفتاح	الاستعلاء	الانخفاض	الانحراف	المكرر	المهتوت	الإذلاق	الإصمات	
الهمزة	X		X			X		X					X	مجهور شديد منفتح منخفض
الألف	X		X			X		X					X	مجهور شديد منفتح منخفض مصمت
الهاء		X				X		X			X		X	مهموس منفتح منخفض مهتوت مصمت
العين	X		X			X		X					X	مجهور شديد منفتح منخفض
الحاء		X		X		X		X					X	مهموس رخو منفتح منخفض مصمت
الغين	X			X		X	X						X	مجهور رخو منفتح مستفل مصمت
الخاء		X				X	X						X	مهموس منفتح مستفل مصمت

القاف	X		X			X	X							X	مجهور شديد منفتح مستفل مصمت
الكاف		X	X			X		X						X	مهموس شديد منفتح منخفض مصمت
الجيم	X		X			X		X						X	مجهور شديد منفتح منخفض مصمت
الشين		X		X		X		X						X	مهموس رخو منفتح منخفض مصمت
الياء	X					X		X						X	مجهور منفتح منخفض مصمت
الضاد	X			X	X		X							X	مجهور رخو مطبق مستفل مصمت
اللام	X					X		X	X				X		مجهور متوسط منفتح منخفض منحرف ذلقي
الراء	X					X		X		X			X		مجهور متوسط منفتح

														منخفض مكرر ذلقي
النون	X					X		X				X		مجهور متوسط منفتح مستفل ذلقي
الطاء	X		X		X		X							مجهور شديد مطبق مستفل مصمت
الدال	X		X			X		X						مجهور شديد منفتح مستفل مصمت
التاء		X	X			X		X						مهموس شديد منفتح مستفل مصمت
الصاد		X		X	X		X							مهموس رخو مطبق مستفل مصمت
الزاي	X				X		X							شديد رخو منفتح مستفل مصمت
السين		X			X		X							مهموس رخو منفتح مستفل مصمت

الظاء	X			X	X		X							X	شديد رخو مطبق مستفل مصمت
الذال	X			X		X		X						X	شديد رخو منفتح منخفض مصمت
الثاء		X		X		X		X						X	مهموس رخو منفتح منخفض مصمت
الفاء		X		X		X		X					X		مهموس رخو منفتح منخفض ذلقي
الباء	X		X			X		X					X		مجهور شديد منفتح منخفض ذلقي
الميم	X					X		X					X		مجهور متوسط منفتح منخفض ذلقي
الواو	X					X		X						X	مجهور متوسط منفتح منخفض مصمت

تعد هذه الصفات أهم صفات تطبع الصوت اللغوي، والتي تميزه عن غيره ممن يشارك نفس المدرج الذي يدرج منه، هذا من الجانب الفيزيولوجي الذي ذكرناه سابقا، والمتمثل في الأعضاء المسؤولة عن إنتاجه، كما أن لهذه الصفات أهمية أخرى تتعلق بالجانب النفسي؛ فهي تميز كل صوت بوقع خاص في السمع، يترجم في نفسية المستمع إلى دلالات عدة " فالصوت يأخذ أبعادا دلالية وجمالية تؤثر في نفسية المتلقي وتحسه على تقبل الخطاب"[1]، كما أن هذا التأثير لا يقتصر على الجانب الجمالي الذي تأنس له النفس بل يكون التأثير بعكس ذلك، حيث تقع الأصوات من النفس موقعا قد يحزنها أو يخيفها، أو غير ذلك من الأحاسيس التي تعتري نفس الإنسان، وهذا كله نلمسه جليا في هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وبخاصة في كتاب الرقائق الذي اجتمعت فيه أحاديث الترغيب والرهيب معا، وكانت ألفاظها تخاطب عمق النفس البشرية وتشعرها بالمعنى من خلال نسق أصواتها المتميز، كما أن للأصوات إيحاءات معنوية، تسهم مجتمعة في المعنى العام للفظة، وسيأتي كل ذلك في موضعه.

ثانيا : السياق:

إن لخاصتي المرونة والحيوية اللتين تمتاز بهما اللغة العربية، فضل في انتقال لفظ السياق من الدلالة التي كان عليها، إلى الدلالة التي باتت معلومة في عصرنا الحديث، فحسب العديد من العلماء والباحثين فإن السياق عند العلماء الأقدمين، لم يرد بلفظه هذا على المعنى الذي

[1]–مدحت حسيني حسيني ليمونة: البلاغة الصوتية في الأحاديث النبوية، جامعة الأزهر، مصر، دط، دت، ص 4.

نعرفه الآن، وفعلا بتتبع المعاجم العربية، كلسان العرب نجد مادة (سوق) تدل على معان مغايرة.

فالسياق لغة : " السوق...وساق إليها الصداق والمهر سياقا وأساقه وإن كان دراهم أو دنانير لأن أصل الصداق عند العرب الإبل وهي التي تساق...وساق فلان من امرأة أي أعطاها مهرها، والسياق المهر...والسّيّقة الناقة التي يُستتر بها عند الصيد ثم يرمي...وساق بنفسه أي نزع بها عند الموت"[1] وفي القاموس المحيط " السياق ككتاب المهر...والسّيِّقة ككيسة ما استاقه العدو من الدواب والدريئة يستتر فيها الصائد ، فيرمى الوحش"[2]، فمن الملاحظ في التعريف اللغوي بلفظ سياق أنه يحمل معاني عدة، فمنه السوق والمهر والساتر المتخذ للصيد، والمنازعة عند الموت، وكذلك الغنيمة التي يأخذها العدو، فهذه المعاني متفرقة لا تمت لبعضها بصلة، سوى أنها تنبثق من جذر واحد، إلا أنه بالتدقيق في هيئة هذه المعاني، فإننا نجد أنها أشياء فرعية مكملة لأشياء أساسية أو أحداث أكبر، فالسوق ما هو إلا موضع للسلع والبضائع، تتم فيه المبادلات التجارية، وهذه الأخيرة هي الأساس لوجوده، وقد تتم خارجا عنه، والمهر هو شيء فرعي مكمل لمعنى أساسي وهو الزواج، والمنازعة عند الموت كذلك هي معنى فرعي مكمل لمعنى أكبر، ألا وهو الموت تماما، إذ قد يموت الإنسان من غير منازعة، والسترة المتخذة للصيد هي أيضا وسيلة من أجل غاية أكبر وهي حدث الصيد، وكذلك الغنيمة التي يأخذها

[1]–ابن منظور: لسان العرب، مادة (سوق).

[2]– الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مادة (س و ق).

العدو، هي معنى فرعي، في معنى أعظم ألا وهو انتصار العدو، وبالتالي فإن السياق في هذه التعريفات اللغوية هو حدث فرعي، مساهم في حدث أساسي، ومن هذا المنطلق يتداخل المعنى اللغوي للسياق مع معناه الاصطلاحي الذي عرف عند المحدثين.

مفهوم السياق:

" السياق context قد اتخذ عدة معان هي: ما يحيط بالوحدة اللغوية المستعملة في النص كما يعني قيود التوارد المعجمي، كما يعني النص اللغوي الذي يتسم بسعة نسبية ويؤدي معنى متكاملا سواء أكان ذلك النص مكتوبا أو ملفوظا، كما يعني أيضا الأحوال والمواقف الخارجية ذات العلاقة بالكلام"[1]، من خلال هذه التعريفات الاصطلاحية للسياق نلاحظ أن الشيء الأساسي والنواة فيها هو الكلام، سواء كان ملفوظا أو مكتوبا، كما نلاحظ أن هناك أشياء أخرى فرعية خادمة لهذه الفكرة النواة كالمعجم الذي تقع فيه اللفظة، أو المواقف الخارجية المحيطة بالقول، وبالتالي ـ وكما ذكر آنفا ـ فإن نقطة الالتقاء بين المعنى اللغوي للسياق، ومعناه الاصطلاحي، هو كون السياق في كلا التعريفين معنى فرعي خادم للمعنى الأساسي المنشود؛ فكما أن المهر في المعنى اللغوي هو خادم للزواج، فكذلك فإن الأحوال والمواقف الخارجية تُعد خادمة لفهم المعنى المراد من القول أو النص.

1 ـ عبد الفتاح البركاوي: دلالة السياق، نقلا عن: عيد بليغ: السياق وتوجيه دلالة النص، بلنسية للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ط، 1429هـ . 2008م، ص126 . 127

لقد بدأ الاهتمام بذكر السياق في العصر الحديث أثناء ظهور النظريات الغربية لفهم المعنى، فبرزت النظرية السياقية بزعامة (فيرث) والتي ترى أن فهم الكلمة لا يكون بمعزل عن الوسط الذي أنتجت فيه، لذلك يصرح فيرث :" بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة."[1] وهذه السياقات تختلف من حيث ماهيتها، ومن حيث تقسيمات العلماء لها، فمنهم من قسمها إلى:

أنواع السياق :

أ ـ **السياق اللغوي:** كون الكلمة تستعمل في سياقات لغوية متنوعة وتختلف دلالاتها بحسب الاستعمالات.

ب ـ **السياق العاطفي:** الذي يحدد درجة القوة والضعف والانفعال والتي بموجبها توظف الألفاظ، فتوظيف كلمة (يكره) غير كلمة (يبغض) في العربية كون الأخيرة أشد انفعالا.

ج ـ **سياق الموقف:** يعنى به الظروف الخارجية التي قيلت فيها الكلمة .

د ـ **السياق الثقافي:** يعنى به المحيط الثقافي والاجتماعي الذي وظفت فيه الكلمة.[2]

تعد كل هذه السياقات مهمة لبحثنا هذا إلا أن أهمها (سياق الموقف) الذي يعنى بالظروف الخارجية والتي تسهم في استعمال تلك اللفظة دون غيرها، والتي تعد عاملا مهما في تفسير

---

[1] ـ Semantic fields : ص 174 ، نقلا عن أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5 ،1998، ص 68.

[2] ـ نفسه، ص69...71.

المعنى، وكذلك (السياق اللغوي) وخاصة جانب التوارد المعجمي للفظة، وكذا الجوانب التي تعنى بالفصاحة والبلاغة وحسن الاختيار، ابتداء من الصوت إلى غاية التركيب، فالسياقان (الموقف ـ اللغوي) هما مكملان لبعضهما وملتحمان، فلا بد من النظر إلى هذه اللحمة لاستنطاق المعنى، يقول محمود السعران :" إن المعنى عند الأستاذ فيرث، كل مركب من مجموعة من الوظائف اللغوية، وأهم عناصر هذا الكل هو الوظيفة الصوتية، ثم المورفولوجية والنحوية و القاموسية والوظيفية الدلالية لسياق الحال، ولكل وظيفة من هذه الوظائف منهجها الذي يراعى عند دراستها ."[1] وتكمن أهمية سياق الموقف في عناصره المكونة له وهي كالآتي :

مكونات سياق الموقف:

أ ـ شخصية كل من المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي، وشخصيات من يشهد الكلام من غيرهما، ومدى مشاركتهم، وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي.

ب ـ العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة بالسلوك اللغوي، كالجو ـ والمكان ـ والوضع السياسي.

ج ـ أثر النص الكلامي في المشتركين كالإقناع أو الألم أو الإغراء أو الضحك...ألخ.[2]

ويرى العديد من العلماء والباحثين أن فكرة سياق الموقف أو سياق الحال، والتي عدها الغربيون فتحا جديدا، إنما هي متجذرة في تراثنا العربي منذ قرون عدة بفكرة (المقام والمقال)، يقول تمام

[1] ـ محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، دط، دت، ص 312.

[2] ـ ينظر: نفسه، ص 311.

حسان:" ولقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريبا على زمانهم، لأن الاعتراف بفكرتي المقام والمقال، باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى، يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة "[1]، ورغم تأثر العديد من العلماء العرب المحدثين بنظرية السياق التي ساقها فيرث وقبله ماليتوفسكي، إلا أن اعترافهم بريادة علمائنا البلاغيين القدامى لا يبارح كتاباتهم، ويضيف تمام حسان بقوله:"...ولم يكن مالينوفسكي وهو يصوغ مصطلحه الشهير contert ofsituation يعلم أن مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها، إن الذين عرفوا هذا المفهوم قبله سجلوه في كتب لهم تحت اصطلاح المقام، ولكن كتبهم هذه لم تجد من الدعاية على المستوى العالمي ما وجده اصطلاح مالينوفسكي من تلك الدعاية بسبب انتشار نفوذ العالم الغربي في كل الاتجاهات ، وبراعة الدعاية الغربية الدائبة "[2]، ولعلنا من خلال هذا القول نطرح سؤالا مثيرا للاهتمام، لماذا لا نسترد هذه الريادة، بما أن أسباب الدعاية باتت متوفرة للعرب في هذ الزمن؟

إن السياق قد ورد عند علماء العرب الأقدمين تحت مسميات عدة حسب هذا القول، "لقد استخدم كثير من العلماء العرب إلى جانب مصطلح السياق، مصطلحات أخرى تؤدي نفس

[1] ـ تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها، الدار البيضاء، ط1، 1994، ص 337.

[2] ـ نفسه، ص372.

المعنى أو ما يقرب منه ومن ذلك على سبيل المثال، الموقف، والحال، والمقام"[1]، وكذلك ورد مصطلح مقتضى الحال وسيأتي بيانه.

مرادفات السياق عند العلماء القدامى:

أـ ابن المقفع(ت142هـ) : ذُكر السياق عنده في حوار تعليمي مرادف للموقف والحال معا، فيما رواه الجاحظ في كتابه من تعريف ابن المقفع للبلاغة " ... قال: فإن قيل له فإن ملّ السامع الإطالة التي ذكرت أنها حق ذلك الموقف ؟ قال : إذا أعطيت كل مقام حقه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام ، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضا العدو فإنه لا يرضى بشيء "[2]، من الملاحظ أن السائل كان يقصد بالموقف السياق، وابن المقفع أجاب باستعمال لفظ المقام على أنه مرادف للموقف، ونستفيد من هذا أنه يمكننا استعمالهما مناوبة عن بعضها البعض.

ب **ـ ابن جني** : ورد عنده مصطلح الحال في نكتة غاية في الروعة، ومجملة للمقصود فقال:

" ألا ترى إلى قوله :

تقول ـ وصكت وجهها بيمينها ـ أبعلي هذا بالرحى المتقاعس .

[1] – دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، جامعة الأزهر، ص 28. ـ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي:

[2] ـ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ج1، ص 116.

فلو قال حاكيا عنها، أبعلي هذا بالرحى المتقاعس ـ من غير أن يذكر صك الوجه ـ لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجبة منكرة، لكنه لمَّا حكى الحال (وصكت وجهها) عُلم بذلك قوة إنكارها وتعاظم الصورة لها، هذا مع أنك سامع لحكاية الحال غير مشاهد لها. ولو شاهدتها لكنت بها أعرف، ولِعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين[1]"، من الملاحظ في هذا القول العلاقة الوطيدة بين السياق اللغوي وسياق الحال أو الموقف وتحقق المعنى بهما معا، كما أنه لولا ذكر الحال لما استبان المقال في البيت الشعري ولحُوِل عن مقصوده .

ج ـ **ابن خلدون(ت808هـ)**: ورد عن ابن خلدون مصطلحا (مقتضى الحال والمقام) مرادفين لمصطلح السياق حديث العهد في قوله :" ثم إعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال، فإن المقامات مختلفة، ولكل مقام أسلوب يخصه، من إطناب أو إيجاز أو حذف أو إثبات أو تصريح أو إشارة وكناية واستعارة "[2]، ولقد كان لحذّاق الخطباء والشعراء والمتكلمين والنقاد العرب، ومن شُهد لهم بذلك على علم بكل هذه المواطن التي أوردها ابن خلدون؛ حيث إن مقاس الجودة بمراعاة ذلك كله، هذه بعض الإشارات فقط التي تدل على أن العرب كانوا سبّاقين في هذا الدرس، وغير هذا كثير في تراثنا حسب العديد من الباحثين، كما أن مقولاتهم هنا لا تقتصر على العربية فحسب، بل تصلح لكل لغة نطقت بها البشرية؛ "وحين قال البلاغيون : لكل مقام مقال، ولكل كلمة مع صاحبها مقام، وقَّعوا على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان

[1] – أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر، دط، دت، ج1، ص245 ـ 245.

[2] ـ عبد الرحمان بن محمد بن خلدون: المقدمة، اعتناء أحمد الزعبي، دار الهدى ، عين مليلة، دط، دت، ص 645.

على دراسة المعنى في كل اللغات، لا في العربية الفصحى فقط، وتصلحان للتطبيق في إطار كل الثقافات على حد سواء "[1]، وبالعود إلى ما نحن بصدده من دراسة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، فإن للسياق أهمية بالغة في فهم معانيها، من خلال معرفة الملابسات والظروف والأشخاص الحاضرين وغير ذلك مما يسهم في اختيار الألفاظ، ولقد ذكر تمام حسان عبارة مهمة بهذا الصدد خصّ بها طلاب اللغة العربية بالذات في قوله:" ولعل السبب الرئيسي في ضرورة التزام طلاب اللغة العربية وأدبها بدراسة مقررات من التاريخ الإسلامي والفلسفة والتفسير والحديث والأدب والشريعة وغيرها، أن طالب اللغة العربية حين ينظر في نص أدبي معين ينبغي أن يكون له من المعلومات الشاملة في هذه الفروع جميعا، ما يعينه على فهم المقام الذي قيل فيه هذا النص حين يلخص له هذا المقام "[2]، وعلى هذا ووفق ما تقتضيه أهمية دراسة الأحاديث الشريفة من دقة واحتراز خشية الوقوع في الخطأ، سنراعي السياقات التي قيلت فيها وشروحها، وتتبع معاني الألفاظ المدروسة من خلال تواردها في المعاجم اللغوية، وكذا دراسة أصوات هذه الألفاظ مفردة والوقوف على معانيها من جهة، والمعنى العام الذي يوحيه اللفظ باجتماع وتوافق معاني أصواته.

كان العرب أهل فصاحة وبلاغة وتمرّس بلغتهم بلغ حد الترف ، فكان مقاس الفحولة باللغة إجادة هذا كله ، فبرز من بينهم الشّعراء المجيدون والخطباء المفوهون المفحمون ، فكانوا على

[1] تمام حسان: اللغة الربية معناها ومبناها، ص 372.

[2] نفسه ، ص 347

ذلك حتى أتاهم كلام هو من كلامهم وحروفهم إلا أنّه أعجز جلّتهم على أن يأتوا بمثل تركيبه ومعانيه فهو كلام الله جلّ في علاه، ولعظمة هذا الكلام كان لابدّ لنفس عظيمة مهيّأة بكلّ أسباب النبوغ في اللسان العربي لتحمل ألفاظه ومعانيه ، فكانت هذه النّفس هي نبيّ الإسلام محمد عليه أفضل الصّلاة وأزكى التسليم القائل :"(**أنا أفصح العرب بيد أنّي من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر**)"[1] ، ولقد كان لنشأته أثر كبير في فصاحته حيث أنه تنقل بين العديد من القبائل العربية وكانت علاقاته بها مختلفة يقول الرافعي :" وقد نشأ النبي صلّى الله عليه وسلم وتقلّب في أفصح القبائل وأخلصها منطقا، وأعذبها بيانا، فكان مولده في بني هاشم، وأخواله في بني زهرة، ورضاعه في سعد بن بكر"[2] ، فتشبّع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بفصاحة منطق هذه القبائل وبلاغة بيانها؛ فكان ذا دراية بمصطلحاتهم وأساليبهم إضافة إلى أنّه كان يعرف كلّ لغات العرب، " فيخاطب كل قوم بلحنهم وعلى مذهبهم ثم لا يكون إلا أفصحهم خطابا وأسدهم لفظا، وأبينهم عبارة، ولم يعرف ذلك لغيره من العرب"[3] إن كل هذا ما كان ليؤتاه بشر إلا إن كان مؤيّدا بعناية إلهية؛ فالنبيّ عليه السلام اصطفاه الله ليؤدي الرّسالة و ليحاجج عنها من حاجّه فيها، وكيف وهو أول ما أرسله، أرسله للعرب ذوي المكنة في اللغة والحجاج بها ، فكانت نعمة الله عليه عظيمة في هذا " فقد علّمه الله من أشياء كثيرة مالم يكن يعلم حتى لا يعيا بقوم

---

[1]ـ القاضي عياض: كتاب االشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، بيروت، ط1، 1424 ـ 2004م، ص37

[2] ـ مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، راجعه: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، د ط، د ت، ص 231

[3] ـ نفسه ، ص230

إن وردوا عليه ولا يحصر إن سألوه ولا يكون في كل قبيل إلا منهم؛ لتكون الحجة به أظهر والبرهان على رسالته أوضح، وليعلم أن ذلك له خاصّة من دون العرب، فهو يفي بهم في هذه الخصلة البيّنة كما يفي بهم في خصال أخرى كثيرة"[1] ولحظوته بكل هذا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد تناقلت كتب الأخبار والبلاغة والرواية أقوالا عن منطقه الشريف وأوصافه، وما لحديثه من تأثير في سامعه جرّاء حسن الاختيار في الأصوات والكلمات والجمل والانسجام المحكم بين لفظه ومعناه من جهة، ومقاله للمقام من جه أخرى.

وهذا الفصل يتناول ما قيل حول هيئة منطقه ووصف كلامه وأفضاله عن بقية الفصحاء والبلغاء .

[1] ـ السابق، ص 230.

الفصل الأول

فصاحة النبي وبلاغته بين السلف والخلف

المبحث الأول : فصاحة منطقه صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول: فصاحته بين الحديث والأثر

"الفصاحة صفة تجتمع للكلام ولهيئة النطق بالكلام ولموضوع الكلام فيكون الكلام فصيحا وهيئة النطق به غير فصيحة أو يكون الكلام والنطف به فصيحين ثم لا تجتمع لموضوعه صفة الفصاحة السّارية في الأسماع والقلوب"[1]، وأمّا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان أفصح العرب قاطبة ولا أحد يجاريه في ذلك، فهو نشأ على الفطرة اللغوية الخالصة، إلى جانب العناية الرّبانية حتى أن أبا بكر رضي الله عنه قال مرة : " لقد طفت العرب وسمعت فصحاءهم، فما سمعت أفصح منك، فمن أدّبك (أي علّمك)؟ قال: أدبني ربي فأحسن تأديبي"[2] إن شهادة أبي بكر لشهادةُ صدّيق ونسّابة عالم بأحوال العرب، ولم يكن مبلغ رسول الله . صلى الله عليه وسلم . هذه الشهادة من أبي بكر أو غيره على فصاحته، بل كان المبلغ هو تأدية الرسالة على وجهها الأمثل، ولأن الفصاحة هي سبيل من سبل الإقناع عند العرب " فقد كان جمال فصاحته في نطقه كجمال فصاحته في كلامه"[3] وهي فصاحة لا قبل لهم بردّها أو الردّ عليها، وقد تأتى له . صلى الله عليه وسلم . هذا الحسن في أدائه للكلام من التركيبة الفيزيولوجية التي منحه الله ـ سبحانه ـ إياها " فكان صلّى الله عليه وسلم ضليع الفم،

[1] ـ عباس محمود العقاد : عبقرية محمد،، نهضة مصر، مصر، د ط ، د ت ، ص18

[2] ـ الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 242

[3] ـ العقاد: عبقرية محمد، ص18

يستعمل فمه جميعه إذا تكلّم ولا يقتصر على تحريك الشفتين فحسب"[1] وهذه صفات رجل فصيح؛ فاستعمال الفم كاملا في الأداء دليل على استعمال كل مخارج الأصوات، وبالتالي إعطاء كل حرف مستحقّه مخرجيا وعلى الصّفة المثلى له في كلّ موضع، فتحرج هذه الأصوات بيّنة محكمة؛ بعكس من يحرك إلا شفتيه في الكلام؛ إذ تخرج الأصوات عنده متنافرة تكاد تكون مختزلة في مخرج واحد هو الشفتان، وهذا يخل بالإفهام ، وأما عنه . صلى الله عليه وسلم . فقد كان منزّها من سوء الإفهام" واتفقت الروايات على تنزيه نطقه من عيوب الحروف ومخارجها وقدرته على إيقاعها في أحسن مواقعها ... فهو صاحب كلام سليم في نطق سليم..."[2]، وهو على ماله من الفصاحة ما كان ليرضى بالتفاصح وتكلف الفصاحة ؛ فأبغض الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ خصال هذا التكلّف وتوعّد من كُنَّ فيه بالبعد منه يوم القيامة فقال :" **إن من أحبّكم إليّ وأقربكم منّي مجلسا يوم القيامة أحاسنك أخلاقا، وإنّ أبغضكم إليّ وأبعدكم منّي يوم القيامة الثّرثارون والمتشدّقون والمتفيهقون**"[3] ؛ فالثّرثارون يكثرون الكلام من غير ما فائدة ولذا كثيرا ما يقعون في الزلل، ونذكر هنا قولا مأثورا عن الإمام عليّ . كرّم الله وجهه . يقول: **(من كثر لغطه كثر غلطه)** ؛ فالإكثار من الكلام

[1] ـ محمد الصباغ: الحديث النبوي (مصطلحه . بلاغته . كتبه)، المكتب الإسلامي، بيروت ، ط4، 1401هـ . 1981م، ص56

[2] ـ العقاد : عبقرية محمد، ص 18

[3] ـ أبو بكر بن شرف النووي: رياض الصالحين، تح: ماهر ياسين الفحل، ابن كثير، دمشق، ط1 ، 1428 هـ . 2007م ، رقم الحديث/ 1738 ، ص 482 . 483

مدعاة لتخلل الكذب بينه، أو النميمة أو البهتان وغيرها من الصفات الّتي ذمّها الرسول . صلّى الله عليه وسلم . تفصيلا ، وذمّها جملة بذم الثرثرة التي هي مجلبة لها.

وأمّا عن الصفتين الأخيرتين؛ فالتشدّق هو تكلف استعمال جميع الفم في الكلام وهو غير محمود إن لم يكن طبيعيا كما عند الرسول ـ صلّى الله عليه وسلم ـ ، وعن من يُشهد لهم بالفصاحة عند العرب فهذا المتشادق يبالغ في استعمال جميع فمه على كل وجه يلتمس بذلك تحقيق الحروف وجهارة البيان وتفخيم الأداء ووزن المخارج إذ كانت هذه هي علامة الفصاحة الطبيعية ، ولكن بتكلّفه هذا يقع في محظور مطِّ الكلام وتنافر الحروف وإجهاد أعضاء نطقه؛ و التفيهق هو النّطق من أقصى الفم، وهو تكلّف أيضا، وهذه الصفات يكرهها العرب، كما أن البيان النبوي حذّر منها كما رأيت، إضافة إلى أنّ هذه الصفات تأباها طبيعة اللغة ولا تتّفق مع أسبابها وتخل بعذوبتها[1]، كون كل ذلك مصطنع غير أصلي.

وبالعود إلى فصاحته ـ عليه الصلاة والسلام ـ فما كان ينبغي أن تشوبها شائبة وهي وسيلة لإيصال أمر الله سبحانه وتعالى، لهداية العالمين، وقد ورد في الأثر شيء من وصف منطقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ففي وصف أم معبد ـ رضي الله عنها ـ لمنطقه قالت:" **(كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات**

[1] ـ ينظر الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص 228 . 229

نُظمن وكان جهير الصّوت حسن النّغمة)"[1]، إنّ هذه الصفات هي صفات إبانة، تشدّ السّامع إليها فيعي ما قيل، وحُسن النّغمة في كلامه ـ صلى الله عليه ـ وسلم يتولد من الإيقاع اللّفظي في كلامه؛ وللإيقاع اللّفظي دور مهمّ في حفظ القول؛ وقد ثبت علميا أن مرد هذا الإيقاع في اللغات عموما وفي اللّغة العربية على وجه الخصوص إلى أمرين هما:

1 ـ النّشأة الشّفاهية للّغات ، ما أدى إلى اختراع محفزات تُذكرها، والإيقاع القائم على التّكرار من أهم هذه المحفزات.

2 ـ الحاجة الفطرية في النّفس الإنسانية إلى الإيقاع اللّفظي.[2]

كما أن تلفظه بالكلام على النّحو الذي وصفته أم معبد مانع لتوهّم السّامع أو شكّه فيما هل قيل هذا اللّفظ أم غيره ؟، وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت:" **(ما كان رسول الله يسرد كسردكم هذا، ولكنّه كان يتكلّم بكلام بيّن فصل يحفظه من جلس إليه)**"[3] فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غاية في الإفصاح بهذا الشكل، ومع ذلك كلّه إلا أنه كان أحيانا يكرر الكلمة أو العبارة، مرات عدة تأكيدا على معناها، ولتحفظ عنه؛ فعن أنس بن مالك ـ رضي

[1] ـ القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي المغربي: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، بيروت، ط1، 1424 . 2004م ،ص37

[2] ـ ينظر: سيد خضر: التكرار الإيقاعي في اللغة العربية، دار الهدى للكتاب، كفر الشيخ، ط1، 1418هـ . 1998م، ص3

[3] ـ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي : شمائل النبي، تعليق: مصطفى ديب البغا، دار الهدى، عين مليلة، د ط، د ت، رقم الحديث/ 223/، ص23

الله عنه ـ قال: "(**كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه**)"[1] وهذا أسلوب تأكيد منه، كما أنه بحسب المواقف التي تستدعي ذلك، والتأكيد له أسبابه؛ فقد يكون لإنكار المخاطب أو شكّه أو تنزيل هذا المخاطب منزلة المنكر أو الشاكّ أو كون القول غريبا عن السامع وجديدا عنه[2] فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلم بأحوال المتلقي ، وأهمية قوله لهذا المتلقي والقدر الكافي لإفهامه، وهذا الأمر سنراه فيما بعد في الشّق المتعلّق بالحديث عن ببلاغته.

وعن الحسن بن عليّ ـ رضي الله عنهما ـ و كان يبحث عن من يصف له صفات جدّه عليه الصلاة والسلام ، فقال: "(**سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصّافا فقلت: صف لي منطق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ... يتكلم بجوامع الكلم، كلامه فصل لا فضول ولا تقصير...**)"[3]، من خلال هذه الأقوال المأثورة يمكن لنا أن نتمثّل أداءاته لبعض الأحاديث والتي تبدو صفة التفصيل فيها جليّة ، كما يُلمس منها حسن النظم الذي ذكرته أمّ معبد في وصف كلامه، والذي شبهت ترابطه بترابط الخرزات في العقد؛ كقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ "(**المسلمون تتكفّأ دماؤهم، يسعى بذمّتهم أدناهم ، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم**)"[4]، نلاحظ أنّ الحديث الذي بين أيدينا

---

[1] ـالسابق: رقم الحديث/ 224/، ص 83

[2] ـ ينظر: كمال عز الدين: الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، دار اقرأ، بيروت، ط1، 1404هـ ـ 1984م، ص 79

[3] ـ الترمذي: شمائل النبي، رقم الحديث/ 225، ص84

[4] ـ القاضي عياض: كتاب الشفا، ص37

مفصل إلى مقاطع محكمة يربط بينها جميعا لفظ واحد وهو كلمة (المسلمون) فهذه المقاطع هي وصف للمسلمين، كما أن تلك الجمل لا معنى لها من غير الرّابط بينها، فكان تشبيه أم معبد دقيقا لكلامه حين قالت : (كأن منطقه خرزات نظمن)؛ إذ تلاحظ هذه الجمل لا رابط بينها لولا النّاظم لها وهو لفظ (المسلمون) الذي ألفّ بينها جميعا، كتأليف خيط العقد بين الخرزات وجعلها شكلا واحدا؛ كما أن أداء الحديث على هذا النحو وبشيء من حسن النّغمة والصوت عوامل محفّزة على حسن الإصغاء من المخاطب ومدعاة لأن يعقل كل ما قيل.

المطلب الثاني: أقوال العلماء في فصاحته صلى الله عليه وسلم

لقد ورد فيما سبق أحاديث شريفة وأقوال مأثورة عن فصاحة النبي عليه ـ الصلاة السلام وحسن إبانته، ونضيف هنا أنّ التغنّي بهذه الفصاحة لم يتوقف عند السلف الأوّل فحسب، وإنّما تواتر الحديث عنها عند الخلف إلى يومناه هذا؛ ففصاحته عليه الصلاة والسلام ما فتئت تبهر كل من سمعها أو قرأها، فتناقل وصفها العلماء والكتّاب في كتاباتهم، فهذا السيوطي (ت911 هـ) يقول في كتابه المزهر:" أفصح الخلق على الإطلاق سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حبيب رب العالمين جلّ في علاه"[1]، كانت هذه شهادة السيوطي بنفسه، إضافة إلى أنّه قد أورد أحاديث وأقوال علماء عن فصاحة النّبي فذكر أن الخطابي (ت388هـ) قال:" اعلم أن الله لمّا وضع رسوله صلّى الله عليه وسلم موضع البلاّغ

[1] ـ جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تعليق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين، دار التراث، القاهرة، ط3، 2008، ج1، ص209

من وحيه، ونصّبه منصب البيان لديه، اختار له من اللّغات أعربها ومن الألسن أفصها وأبينها، ثم أمدّه بجوامع الكلم"[1]، وقول الخطابي الأخير إشارة إلى الحديث الشريف الذي ذكره البيهقي أنّ النبي صلى الله عليه سلم قال:"(**أُعطيت جوامع الكلم واختُصر لي الكلام اختصارا**)"[2]، فقد كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم يُقلُّ الكلام؛ فإذا تكلم اختزل معاني كثيرة في ألفاظ قليلة، وهذا اللّون جامع للفصاحة والبلاغة معا وقد ذكر الجاحظ (ت868هـ) قولا من هذا القبيل في وصف كلام النّبي صلى الله عليه فقال: ـ أي الجاحظ ـ " وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه"[3] ، ثم أورد الجاحظ في كتابه طائفة من الأحاديث التي كانت قليلة الألفاظ جمّة المعاني، إلاّ أن كونها متعلقة بجانب البلاغة أكثر من كونها في الفصاحة فسنؤخر ذكرها إلى القسم المتعلق ببلاغته صلى الله عليه وسلم الذي سيأتي لاحقا، وقال القاضي عياض(ت544 هـ) عن فصاحة النّبي صلّى الله عليه وسلم " أمّا فصاحة اللّسان وبلاغة القول فقد كان صلّى الله عليه وسلم في المحل الأفضل، والموضع الذي لا يُجهل، سلاسة طبع وبداعة منزع، وإيجاز مقطع ونصاعة لفظ، وجزالة قول وصحة معان، وقلة تكلّف وأوتي جوامع الكلم ..."[4]، نلاحظ في كل الأقوال السابقة للعلماء إجماعها على تفرّد النبي صلّى الله عليه وسلم بأفضلية الفصاحة على كل العرب، وما كان لمنصف

---

[1] ـ السابق: ص 209

[2] ـ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي : الجامع لشعب الايمان، تح: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الشرد، الرياض، ط1، 1423 ـ 2003م ، ج3، ص38

[3] ـ أبو عثمان الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7 ، 1418هـ ـ 1996م، ص16. 17

[4] ـ القاضي عياض: كتاب الشفا، ص36

إلا أن يشهد بهذا؛ فهذه الشهادة جاءت قَبلهم ممن هم أعلى مقاما ومقالا كأبي بكر وعمر وعلي والحسين وعائشة زوج النبي، وأم معبد رضي الله عنهم أجمعين.

وبالرجوع إلى خصّيصة خطابه كل قوم بما يفهمون وكيفية مجاراة كلامهم ومصطلحاتهم فقد تناقلت العديد من الكتب في ـ حركة التأليف الأول ـ أحاديث تدلّ على ذلك وخاصة ما كان منها كتبا لأقوام؛ ونذكر هنا على سبيل المثال كتابه لهمذان وجاء فيه "**(إن لكم فراعها ووهاطها، وعزازها تأكلون علافها، وترعون عفاءها، لنا من دفئهم وصرامهم، ما سلموا بالميثاق والأمانة، ولهم من الصّدقة الثلب، والنّاب والفصيل والفارض والدّاجن والكبش الحواري، وعليهم فيها الصالغ والقارح)**[1]، الملاحظ في هذا الحديث الّذي بين أيدينا، أولا أنّ خاصية التّفصيل بين الجمل فيه بارزة ، كما أنّ كلّ جملة هي اختصار لمعنى فقهي عميق جدّا، الأمر الذي جسّد خاصية قلّة الألفاظ وكثرة المعاني التي أشار إليها العلماء في حديث النّبي عليه السلام، كذلك فإنّ هذا الحديث يمتاز بألفاظ غريبة عن اللفظ القرشي، لأنّ الكلام خاصّ بما يفهم قوم همذان، وهذا الأمر جسّد خاصيتين، الأولى خطابه كلّ قوم بما يفهمون، والثانية هي مراعاة المقال للمقال.

وجاء أيضا في كتاب النبي عليه الصلاة والسلام لقوم حضرموت فيما ذكره الجاحظ في كتابه قال: " وروى سعيد بن غفير بن لهيعة، عن أشياخه أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلم كتب إلى وائل بن حجر الحضرمي ولقومه: **(من محمد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى**

[1] السابق ص 36

الأقيال العباهلة من أهل حضرموت بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، على التّيعة شاة والتيمة لصاحبها، وفي السّبوب الخمس، لا خلاط ولا وهاط، ولا شناق، ولا شغار، فمن أجبى فقد أربى، وكل مسكر حرام"[1] نلاحظ في هذا الحديث الشريف أن لغته غريبة عن ما هو مألوف عند القرشيين، فالكلام مغاير للغة الأصل عند النبي عليه السلام، إلا أن هذا الإغراب ليس هو الذي كرهته العرب، وإنّما هو إغراب محمود كونه مراعيا لخصوصية قوم حضرموت والّذين سيبدو القول لديهم مألوفا ومتداولا، وهذا معدود في أصالة الخطاب النّبوي الذي يلمّ بكل لغات العرب" وأصالة الخطاب النّبوي لا تعني الغرابة، لأن هذا عيب لغوي في كلام العرب ، ولكن الغريب الذي تناثر في بعض ألفاظ الرسول صلى الله عليه وسلم الغريبة لا يخرج عن حالتين: إمّا أنّها مفهومة مألوفة في العصر النّبوي ثم غمضت بعده، وإمّا أنّها كانت غريبة وجيء بها لتسدّ مسدّاً لا تفي به الكلمة المأنوسة "[2]، ولاشك أن خطاب النبي صلى الله عليه وسلم للحضرميين ما كانت لتفي به الكلمة المألوفة عند قريش، وإنّ فطنة النبي صلّى الله عليه وسلم، في إجراء هكذا خطابات وكتب لهو من صميم مراعاة المقال للمقام والذي عُرف عند المحدثين بسياق الحال أو سياق الموقف.

وقد يتوهم أحد أنّه مادامت أحاديثه تلك كانت عبارة عن رسالات مكتوبة وبالتّالي قد يكون فيها تأنٍ وتفكير في اختيار الألفاظ المناسبة لهؤلاء الأقوام، ذلك التأني الذي ينمُّ عن قصور،

[1] ـ الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص28

[2] ـ غريب محمد عيد: الخطاب النبوي خريطة البيان العربي، دار الثقافة، الأردن، ط1، 1436هـ ـ 2015م ، ص 60 61.

فقد أخطأ وخاب ظنّه؛ لأنّ النّبي صلّى الله عليه فصيح لما يُكتبُ له، وفصيح لما يخطب أو يدعو، والدليل على ذلك دعاؤه لقوم نهد بما يفهمون فقال الرسول صلّى الله عليه وسلم: "(**اللّهم بارك لهم في محضها ومخضها، ومذقها، وابعث رعاتها في الدُّثر، بيانع الثّمر، لهم الثَّمد، وبارك لهم في المال والولد، من أقام الصّلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا، ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصا، ولكم يا بني نهد ودائع الشّرك ووضائع الملك، لا تُلطِطْ في الزّكاة ولا تلحد في الحياة ولا تثاقل عن الصّلاة)**"[1]، الملاحظ في هذا الدعاء من النبي صلى الله عليه وسلم أنه مرتجل آنيٌ وأنّ به ألفاظا خاصة بهؤلاء القوم فقط والّتي تبدو غريبة في اللغة المتداولة في المدينة، ورغم ذلك فهو حديث كغيره من الأحاديث التي لا تخلو من خاصية الفصل بين الجمل، و الترتّل في أداء الألفاظ والذي له جرْس محسوس تطرب له النفوس.

ولم يكن هذا الوصف لفصاحته ظاهريا أو متكلّفا، بل كان بشهادة الأقوام الآخرين، و الشّاهد في هذا سؤال برّة بنت عامر إخوتها فقالت:" يا بني عامر أفيكم من أبصر محمدا صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: كلنا قد رأيناه أيام الموسم، فقالت: أفيكم من سمعه يتكلم؟ قالوا: نعم، فقالت: كيف هو في فصاحته؟ قالوا يا أختاه إن أقبح مثالب العرب الكذب، أمّا فصاحته فما ولدت العرب فيما مضى ولا تلد فيما بقى أفصح منه ولا أذرب منه، إذا تكلم يعجز

[1] ـ محمد بن يوسف الصالح الشامي: سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد، تح: مصطفى عبد الواحد، وزارة الأوقاف ، مصر، د ط، 1418هـ ـ 1998م ،ج2، ص137

اللبيبَ كلامهُ ويخرص الخطيبَ خطابهُ"[1]، فهذه الشهادة تزكية من قوم غرباء على أنّ النبي أفصح العرب، حيث لو كانوا سمعوا بأفصح منه لما قالوا هذا القول.

ولقد كان امتداح فصاحة رسول الله صلّى الله محلّ اهتمام عند كل الفئات العلمية من محدّثين و نحويين وبلاغيين ومؤرخين، إذ كانت فصاحته متعددة النّفع لكل فئة " يقول علاّمة الأدب وناقد الشعر [إمام][2] نحاة البصرة يونس بن حبيب: ما جاءنا من أحد من روائع الكلم ما جاءنا عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم"[3]، إنّ شاهدة كهذه من يونس بن حبيب وهو من هو في سداد الرأي النحوي لداعم كبير وانتصار لفكرة التّقعيد اللّغوي من الحديث النّبوي الشّريف والّتي هي قضية أثارت جدلا واسعا بين العلماء والمفكرين في كل العصور الّتي ما بعد صدر الإسلام و حتى عصرنا الحديث وأفردت لها بحوث عدة.

كما أنّ فصاحته صلّى الله عليه وسلم تُنوقلت في كتابات المؤرخين العرب؛ ومن بين هؤلاء ابن الأثير(ت555ه) الذي ذكر هذا " وقال: ... في أول النّهاية قد عرفت ـ أيدك الله– ... أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم كان أفصح العرب لسانا وأوضحهم بيانا

[1] ـ محمد بن يوسف الصالح: سبل الهدى والرشاد، ص135

[2] ـ هكذا في الاصل [أمام] وهو ربما خطأ مطبعي

[3] ـ نور الدين عتر: أهم الملامح الفنية في الحديث النبوي، مركز بحوث السنة والسيرة، جامعة قطر، العدد 7، 1414ه ـ 1993م، ص67

وأعذبهم نطقا وأسدّهم لفظا وأبينهم لهجة وأقومهم حجة وأعرفهم بمواقع الخطاب"[1]، إن قول ابن الأثير هذا شهادة تأريخية على فصاحة النبي وبلاغته وحسن معرفته بمقامات الخطاب.

إن أوصاف فصاحة النبي صلّى الله عليه وسلم استفاض ذكرها عند الأولين والآخرين، وحصرها لا ينوء بحمله إلا كتاب متفرد لها، وختام القول فيها أنّها فصاحة عجز الفصحاء دونها، فكما أن القرآن الكريم تحدّى كل الفصحاء والبلغاء أن يأتوا بمثله وهو الكلام المنزل من الله، فقد جاءت الفصاحة النبوية تحديا دون الأول، وفصاحتهم دونها دائما إلى يوم الدين، وفي هذا يقول الرافعي عن قول النبي صلى الله عليه وسلم (أنا أفصح العرب)" وهو قول أرسله في العرب جميعا، والفصاحة أكبر أمرهم والكلام سيد عملهم، فما دخلتهم له حمية ولا تعاظمهم، ولا ردّوه وغضّوا منه، ولا وجدوا إلى نقضه سبيلا، ولا أصابوا للتّهمة عليه طريقا، ولو كان فيهم أفصح منه لعارضوه به، و لأقاموه في وزنه، ثم جعلوا من ذلك سببا لنقض دعوته والإنكار عليه"[2]، ولكنّ النبي صلى الله عليه وسلم صادق في كل شيء، وصادق في قوله لفظا ومعنى، وكما أنّهم عجزوا عن ردّ المعنى العظيم الذي جاء به؛ فكذلك ما كان لهم أن يتحدّوا فصاحته التي تحاجج دون هذا المعنى.

[1] ـ محمد بن يوسف الصالح: سبل الهدى والرشاد، ص129

[2] ـ الرافعي: إعجاز القرآن والبالغة النبوية، ص231

المبحث الثاني: ما جاء في البلاغة النبوية

أما بلاغته صلّى الله عليه وسلم فكانت قرينة لذكر فصاحته في كثير من الأحيان، كما أنّ ذكرها يفضل عن ذكر الفصاحة؛ لكون البلاغة ذات نطاق أوسع؛ فهي تتعلق بالسياق اللغوي والعاطفي والاجتماعي.

و للبلاغة تعريفات عدة عند جمهور البلاغيّين؛ والتّعريف الذي له تعلّق وطيد بهذا البحث هو تعريف أبي هلال العسكري(ت395هـ) لها في قوله: " البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكّنه في نفسه كتمكّنه في نفسك مع صورة مقبولة ولفظ حسن"[1]، وعُرِّفت عند المحدثين على أنها " تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة لها في النّفس أثر خلّاب مع ملاءمة كلّ كلام للموطن الذي يُقال فيه والأشخاص الذين يُخاطبون "[2]، الملاحظ أن كلا التعريفين يتواطآن على فكرة إيصال المعنى للمتلقي التأثير في نفسيته.

إنّ لهذين التّعريفين بالبلاغة تعلّق كبير بالدّعوة النبوية؛ كونها خطابا لابد أن يبلغ النّاس بالدرجة الأولى، والنّاس مختلفون في الأعراق والأجناس واللهجات والعقول والمقامات الاجتماعية، و بالتالي فلابد للخطاب أن يكون مراعيا لكل هذا، والرّسول ـ المؤيد صلّى الله عليه وسلّم ـ هو خير من يعلم مناسبة مقاله لمقامه، ولذا روي عنه أنه قال " **(أمرت أن**

[1] ـ أبو هلال الحسين بن عبد الله بن سهل العسكري: الصناعتين، تح: محمد البخاري ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1371هـ ـ 1952م، ص10

[2] ـ علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، دار قباء الحديثة، القاهرة، د ط، 2011م، ص14

أخاطب الناس على قدر عقولهم)"[1]، فكل النّاس يتكلمون بحسب عقولهم وتوجهاتهم ويصعب عليهم مراعاة ظروف كلّ من يخاطبوهم، إلا نبي الله عليه الصلاة والسلام فهو أوتي جوامع الكلم، كما أنه ذو فطرة لغوية سليمة جمّة الألفاظ والمعاني التي تخص كل مقام.

كما أن بلاغته صلّى الله عليه وسلم فطرية غير متكلّفة وبعيدة عن الصّنعة اللّفظية المقصودة لذاتها من قبل البلغاء؛ فكلامه وحسن تركيبه نابع عن سجية في منطقه، يقول الجاحظ في وصف كلام النبي : " هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجلَّ عن الصنعة، ونُزّه عن التكلّف"[2] فالغاية من كلامه صلّى الله عليه وسلم تبليغ الرّسالة وهداية العالمين، فما كان ينبغي له ـ عليه السلام ـ أن يهتم بالصنعة اللفظية التي يتنافس فيها أصحاب الكلمة، إلا أنّ المتأمل لبلاغته صلى الله عليه وسلم ستبدو له كأنّها مصنوعة عمدا، وهي كما قال الرافعي:" لم تصنع وهي من الإحكام كأنّها مصنوعة، ولم يُتكلّف لها وهي على السّهولة بعيدة ممنوعة"[3] فبلاغة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ محكمة كما أنّها تصل إلى سامعها فيفهم مقصدها بسهولة، وهي على سهولتها عجز دونها البلغاء؛ فهي البلاغة الموكل لها تأدية الرّسالة الإلهية إلى الناس، يقول الزمخشري(ت538هـ):" ثم إنّ هذا البيان العربي كأنّ الله عزّت قدرته مخضه و ألقى زبدته على لسان محمد عليه أفضل

[1] ـ محمد يوسف الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج2، ص129

[2] ـ الجاحظ: البيان والتبيين، ج2 ، ص16 . 17

[3] ـ الرافعي : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص 227

صلاة و أوفر سلام؛ فما من خطيب يقاومه إلا نكص متكتّف الرِّجل وما من مِصقَعٍ يناهزه إلا رجع فارغ السّجل، وما قرن بمنطقه منطق إلا كان كالبرذون مع الحصان المُطَهَّم، و لا وقع من كلامه شيء في كلام الناس إلا أشبه الوضح في نُقبة الأدهم"[1]، فحق لبلاغة كهذه أن تناجز دون الإسلام وأن تعلي شأنه.

المطلب الأول: نفي الشعرية عنه صلى الله عليه وسلم

إنّ البلاغة مسخّرة للنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ لتأدية دعوته، فما كان للمجازات والتشبيهات والكنايات أن تكون فيها قصد الجماليّة؛ بل هي عفوية في كلامه؛ فلو كان النّبي بهذا قاصدا الجماليّة لسار في منحى الشّعراء، وما ينبغي له أن يكون كذلك مصداقا لقول الله تعالى﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾[يس68]، كما أنّ أسلوب النّبي منزّه عن الأوصاف الحالمة للطبيعة وجمالها الذي تجده عند الشّعراء، يقول الرافعي: " ثم إن الكلام في وصف الطبيعة والجمال والحبّ على طريقة الأساليب البيانية، إنّما هو باب من الأحلام، إذ لابد له فيه من عيني شاعر، أو نظرة عاشق، وهذا نبيّ يوحى إليه، فلا موضع للخيال في أمره إلّا ما كان تمثيلا يرُاد به تقوية الشعور الإنساني"[2]، غير أن نفي الشعرية عنه ليس مانعا من أنه كان يسمع الشعر الذي فيه مكارم أخلاق، أو ذود عن الإسلام، كما أنه كان يتمثّل به في كلامه، وقد ورد في هذا أحاديث كثيرة، وذكر البيهقي طائفة منها، **(فعن أنس**

[1] ـ محمود بن عمر لزمخشري: الفائق في غريب الحديث: تح: علي محمد البخاري ومحمد أبو الفضل إبراهيم: عيسى البابي الحلبي، سوريا، ط2، د ت، ص11

[2] ـ مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ . 2000م،ج3، ص18

بن مالك رضي الله عنه، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكّة في عمرة القضاء وابن رواحة ينشئ بين يديه ويقول:

خلّوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربهم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله و يُذهل الخليل عن خليله

فقال عمر: بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفي حرم الله تقول الشعر؟ فقال صلّى الله عليه وسلّم خلِّ عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح النّبل)[1] ، ففي هذا الحديث الشريف إقرار واضح منه صلّى الله عليه وسلم، بقول الشعر في حضرته بل وحتى في المسجد إذا كان هذا الشعر خدمة لدين الله.

وذكر البيهقي حديثا آخر في هذا، فعن الشريد بن سويد الثقفي رضي الله عنه قال:**(كنت ردف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأنشدته مائة قافية من قول أمية بن أبي الصّلت الثّقفي، وكلّما أنشدته بيتا قال لي النّبي (هيه) حتّى أنشدته مائة ـ يعني بيتا ـ فقال النّبي صلى الله عليه وسلم { إن كاد ليسلم })**[2]، وإلى جانب سماعه لهذا النوع من الشعر، قد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستشهد أحيانا في أحاديثه بأجزاء من الشعر، ولكنّه لا يُتمُّ البيت من الشعر وإن أتمّه كسر وزنه عامدا، فما قال رسول الله شعرا قط، وقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها **(قيل لها هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل**

[1] ـ البيهقي: شمائل النبي، رقم الحديث/345 / ص94

[2] ـ نفسه: الحديث رقم/241/ ص92

بشيء من الشعر؟ قالت: كان يتمثل بشعر ابن رواحة، ويتمثل بقوله { ويأتيك بالأخبار من لم تزود})"[1] كما أنه من بين الأبيات التي كسر وزنها ولم يصححها هذا البيت؛ حيث أنه قال البيت كله على هذا النحو:

ستبدي لك الأيام ماكنت جاهلا ويأتيك من لم تزود بالأخبار

ومعلوم أنّ عجز البيت في الأصل (ويأتيك بالأخبار من لم تزود) جريا على القافية ولكنّه كسر وزنه عامدا ليُخرج هذا الكلام من دائرة الشعر[2]، غير أنّه كانت لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم أراجيز في كلامه توهّم فيها أعداؤه فحملوها على محمل الشعر فاتّهموه به ومنها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب أصبعه فدَمِيَ:

هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

وقوله في غزوة أحد وهو على بغلته:

أنا النّبي لا كذب انا ابن عبد المطلب

غير أنّ هذين القولين لم يكونا من الشعر بل هما قولان لهما جرس جميل كسائر أقواله، فهما قولان لا يتقيدان بالأوزان الشعرية، وعلق الرافعي عن هذه الأقوال التي تأتي هكذا في كلامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائلا: " إنّما اتّفق له ذلك لأنّ الرّجز في أصله ليس بشعر

[1] ـ السابق: الحديث رقم/241/، ص نفسها

[2] ـ ينظر: الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص211

إنّما هو وزن كأوزان السّجع، وهو يتّفق للصبيان الضعفاء من العرب يتراجزون به في عملهم وفي لعبهم وفي سوقهم، ومثل هؤلاء لا يقال لهم شعراء فقد يتّفق لهم الرجز الكثير عفوا غير مجهود"[1] فما كانت تلك الأقوال عن رسول ـ الله صلّى الله عليه وسلّم ـ أن تكون ضمن حدّ الشّعر الّذي حدده البلغاء والنقّاد وإنّما كانت سجعا محمودا غير متكلّف له جرس صوتي استدعاه المقام الذي قيل فيه.

المطلب الثاني: السجع في كلامه:

السّجع من المحسنات البديعية الّتي تضفي جمالية على الكلام وتمكنه من قلب السّامع، غير أن موقف رسول الله صلّى الله عليه وسلم منه يجعلنا نستشف أن السّجع بالنسبة إليه قسمان؛ قسم مبغوض وقسم محمود؛ فأما المبغوض فهو سجع الكهان والسحرة؛ حيث " كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يكره سجع الكهان، والذين يخدعون السامع ليوهموه أنّه يستمع إلى طلاسم السّحرة والشّياطين"[2]، وأمّا القسم المحمود من السّجع عنده هو ما نلمسه في كلامه وخطاباته ورسائله وأدعيته؛ كدعائه لقوم نهد الذي مرّ بك في الحديث عن فصاحته.

وللسجع في حديث النّبي تأثير على النّفس البشريّة، فهو له وقع في الأذن جرّاء تكرار بعض الحروف متعاقبة في كلمات يصبغها أسلوب التفصيل في الكلام الذي امتازت به أحاديثه عليه الصّلاة والسّلام، كذلك فإنّ للمقام الّذي يتمّ إيقاعه فيه دور جسيم في جعل

[1] ـ الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص221 . 212

[2] ـ العقاد: عبقرية محمد، ص71

أهمية وهيبة للكلام عند السامع؛ ومن بين المواقف التي كان للسجع فيها تأثيره من قبل النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ كتابه الذي ردّ فيه على أبي سفيان بن حرب والذي نصّه: **(وصل كتاب أهل الشّرك والنّفاق، والكفر والشّقاق، وفهمت مقالتكم، فو الله ما لكم عندي جواب إلا أطراف الرّماح وأشفار الصّفاح، فارجعوا ويلكم من عبادة الأصنام، وأبشروا بضرب الحسام، ويفلق الهام، وخراب الدّيار، وقلع الآثار)**"[1]، إن لهذا الكلام المسجوع وقع خاص ومناسبة للمقام؛ كونه تجريس للأعداء، والملاحظ أنّ جمله انتقلت نهاياتها بين أربعة أحرف مبدؤها حرف القاف في كلمتي(النّفاق والشّقاق) الذي فيه تقريع لأذن السامع، ثم حرف الحاء في كلمتي(الرّماح والصّفاح) الذي جاء بعد ألف مدّ فتُحس له أحأحة تناسب الألم الذي تسببه الرماح والصفاح (أي السيوف)، ثم انتقل السّجع إلى حرف الميم الّذي من موحياته الانجماع والتّضييق كما سيأتي لاحقا، ثم انتقل السّجع إلى حرف الرّاء الذي فيه تكرار والذي من موحياته الجر والسّحب، والذي تناسب مع جملتي (خراب الدّيار وقلع الآثار)؛ كون الخراب والقلع من جنس واحد، إذ كلاهما جرف لشيء من مكانه وزعزعة له على وجه العنف، فهذا الكلام المسجوع له وقع وبث للرهبة في نفس أبي سفيان وعصبته، وعلّق العقاد على هذا السّجع في هذا النّص بقوله: " فهذا السجع في هذا المقام أصلح لخطاب الجاهلين،

[1] ـ السابق، ص72

لأنّهم يعرفون منه معنى التّوثيق والتّمكين، كما يعرفون منه معنى المناجزة والتخويف"[1]، فالسّجع منه صلى الله عليه وسلّم له أسبابه، و تقتضيه طبيعة المقام.

وكما أنّ للسّجع تأثيرا يصيب نفس المتلقي بالهلع في مقامات، فإن له تأثيرا بالعكس من ذلك في مقامات أخرى؛ فقد يكون للسّجع إيقاع تأنس له النفس، ويحثّها على الاستماع والاستيعاب" إذ أنّه يخامر العقول مخامرة الخمر، و يخدر الأعصاب إخدار الغناء، ويؤثر في النفوس تأثير السّحر، ويلعب بالأفهام لعب الريح بالهشيمِ لمَا يحدثه من النّغمة المؤثرة، والموسيقى القويّة الّتي تطرب لها الأذن، وتهشّ لها النّفس، فتُقبل على السّماع من غير أن يداخلها ملل، أو يخالطها فتور، فيتمكّن المعنى في الأذهان، ويقرُّ في الأفكار، ويعزُّ عند العقول"[2] ولقد كان للسّجع في كلام النّبي هذا التّأثير كله، بالرغم من أنه كان عفويا غير متكلّف، فالسّجع في كلامه خادم لسياق الكلام وليس مقصودا بحد ذاته، " وللسّجع جماله إذا تطلّبه السياق والمعنى، فإذا ما جيء به لغرض التشاكل اللفظي دونما حاجة إليه صار بغيضا مرذولا "[3]، والسّجع المبغوض هو ذاك المتكلّف والمستدعى من أجل الغاية الجمالية، والتي يؤثرها صاحبه على ما هو أساس في الكلام وهو إيصال الفكرة للسّامع، وبالتالي يصبح عيبا، وتنميقا لفظيا لا طائل منه، ولقد كان السّجع في كلام المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ذا فائدة دائما وله محله، " ولم يكن النّبي ـ صلّى الله عليه وسلم ـ يكثر من

[1] ـ السابق، ص72

[2] ـ أحمد إبراهيم موسى: الصبغ البديعي في اللغة العربية، دار الكتاب العربي، مصر، 1388هـ ـ 1969م، ص496 ـ 497

[3] ـ سيد خضر: التكرار الإيقاعي في اللغة العربية، دار الهدى، كفر الشيخ، ط1، 1478هـ ـ 1998م، ص17

استعمال السّجع وإنما كان يستعمله أحيانا لضرورة خاصّة، من غير تكلّف وزيادة، والسّجع المتكلف هو الذي يكون الحرف المكرر فيه لم يُحتج إليه لأجل المعنى إنّما أُحتيج إليه لأجل التّقفية وذلك هو السّجع القبيح"[1] ، وقد ذكرنا قبلُ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم كان يبغض السّجع الذي على هيئة سجع الكهان والسّحرة الذين كانوا في الجاهلية، وقد أنكر ذلك في كثير من المواطن على أصحابه حسب ما تناقلته كتب الأخبار والرواية، وفي هذا الموضع نذكر استدراكا لابّد منه؛ وهو أنّ هذا التّحريم كان بسبب علَّة، وزوال العلة انتفاء للتحريم، وهذا التّحريم عارض وليس دائما، وذكر الجاحظ نكتة في هذا قوله: " وقالوا: فوقع النهي في ذلك لقرب عهدهم بالجاهلية ولبقيتها فيهم وفي صدور كثير منهم، فلما زالت العلّة زال التحريم"[2]، وحسب هذا القول فالسّجع عند المتأخرين لا بأس فيه؛ لأنهم مسلمون بالفطرة، و بعيدوا عهد بالجاهلية فلا يتطرّق إليهم تقليد الكهّان.

. المطلب الثالث: البلاغة في صمته

و كما أنّ لبلاغة كلام النّبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ صيت في العرب والمسلمين، فإن امتداح كثرة سكوته لا يقلّ ذيوعا في الأحاديث الشريفة والأقوال المأثورة، والسّكوت عند رسول الله صلّى الله عليه وسلم أثناء خطبه وحواراته لاعن عجز في الردّ، أو تفكير، أو نسيان لِما سيقوله، بل هو سجية فيه، ومن بين ما ورد في الأثر من هذا وصف هند بن أبي

[1] ـ الفخر الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، نقلا عن: سيد حضر: التكرار الإيقاعي في اللغة العربية، ص 18

[2] ـ الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص290

هالة للحسن بن علي على منطق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقد مرّ بك؛ ومن بين الجمل التي وصفه بها قوله: (طويل السّكت)، وفي السكوت رويّة تخدم بلاغة كلامه فلا ينطق إلا بما فيه تأثير في النفوس فعلا، وقد ورد في تعريفات البلاغة أنّها" اسم لمعان تجري في وجوه كثيرة؛ منها ما يكون في السكوت"[1]، والسّكوت في البلاغة محمول على المجاز فقط، وإنّما مقصود به السّكوت الذي يخدم الحوار؛ ولعمرو بن عبيد (ت144هـ) قول سديد في هذا، حيث قال: " من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يستمع ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول" [2]، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من يجيد هذا كلّه، وقد رأينا سابقا استماعه لقوم نهد، ثم حسن دعائه لهم وعلى ما يألفون من كلامهم، وفي سيرته كثير من هذه المواقف، سواء مع الأصحاب أو الأعداء.

ولقد تحدث البلاغيون في السّكوت، والسكوت في سيرته صلى الله عليه وسلم ورد في الفاظ عدة؛ السّكوت والصّمت و الإطراق و الإعراض وهذا الأخير هو مبالغة في السّكوت لدرجة الالتفات، والسّكوت في كثير من الأحيان يستدعيه السّياق، والسّكوت هو من حسن بيانه الذي آتاه الله إياه، فإذا قيل أنّ أبلغ الناس هو محمّد صلى الله عليه وسلم، ثمّ تجد في أحاديث كثيرة أنه طويل السّكوت، فالمعنى أن جزءا كبيرا من بلاغته هو حسن سكوته واختيار موضع هذا السكوت[3]، فالسّكوت إذا كان موفّقا في موضعه يكون أبلغ من الكلام،

[1] ـ أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص14

[2] ـ أحمد مطلوب اساليب بلاغية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، ص1980 .1989 م، ص53

[3] ـ ينظر: سعيد جمعة: البيان بالسكوت في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، جامعة الأزهر، ص3...5

بل إنّه يُستقبح الكلام في موضعه أحيانا، وذكر عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) نكتة في هذا في حديثه عن الحذف فقال: " هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنّك ترى به ترك الذّكر، أفصح من الذّكر، والصّمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تُبن"[1]، و السّكوت عند رسول الله ـ صلّى الله عليه و سلم ـ له دلالات عدّة حسب ما استنبطه الفقهاء و العلماء بتتبعه في الأحاديث الشريفة، وورد السكوت بمعنى الرضا، كما أنه ورد بمعنى الرفض، وكدلك يدل على الانتظار، وله دلالة الحزن أيضا، والغضب أحيانا، وقد يأتي في سياق ترك الجدال، حيث يكون السكوت أفضل، كما أن السكوت يأتي بمعنى الإباحة، وأكثر ما تجده فيما اصطلح عليه العلماء السنة التقريرية، وكان للسكوت كذلك دلالة الحياء عنده صلى الله عليه وسلم، وقد يرد بمعنى عدم العلم، وخاصة في ما يتعلق بالمسائل الغيبية، التي لا يعلمها إلا الله[2]، ومن هذا فإن بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم تتجلى في كلامه وسكوته، فإن كان البلغاء يتنافسون في بلاغة الكلام أكثر من الصمت، فأن بلاغة النبي صلى الله عيه وسلم بيّنة في كلامه وصمته ولعل سكوته في كثير منها أبين.

[1] ـ أبو بكر عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1413 هـ 1992م، ص 146.

[2] ـ ينظر: سعيد حميصة، البيان بالسكوت في حديثه صلى الله عليه وسلم، ص20

المطلب الرابع: تأثير كلامه في المتلقي :

إن غاية الفصاحة والبلاغة اللتان امتاز بهما الرسول صلى الله عليه وسلم، هي تبليغ أمر الله للعباد وتمكينه من قلوبهم وعقولهم، ولقد أدى اللفظ النبوي المهمة على وجهها؛ حيث إن أساليب كلامه وحسن صوته وجمال بيانه، أغراض تحث السامع على تقبل الخطاب، والنبي صلى الله عليه وسلم هو ابن البيئتان التي نشأ وتكوّنَ فيها، وكما أنه مؤيد من قبل الله سبحانه وتعالى، وكما أنه أوتي جوامع الكلم، فكذلك أوتي وفهم طبائع الناس على اختلاف أمزجتهم واهتماماتهم وهو" بوصفه فردا من المجتمع العربي، قبل أن يصبح قائدا لجماعة المسلمين، ونبيا مرسلا للناس كافة قد خبر الناس وطبائعهم، فعرف كيف يخاطبهم فقد كان عضوا اجتماعيا فاعلا ومؤثرا "[1] فعرف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقامات القول وكيف يخاطب الناس على حسب عقولهم، وبهذا كان الخطاب النبوي سببا في هداية الناس وتهذيب سلوكاتهم، فحوّلها من قسوة الجاهلية إلى لطف الإسلام، وبصدد هذا يقول الرافعي:" ولقد درست كلامه صلى الله عليه وسلم وقضيت في ذلك أياما أتتبع السر الذي وقع في التاريخ المقفر المجدب فأخصب به وأنبت للدنيا أزهاره الإنسانية الجميلة فكانوا أناسا إن عبتهم بشيء لم تعبهم إلا أنهم دون الملائكة"[2]؛ يمكن ملاحظة التحول الذي آل إليه الصحابة رضوان الله عليهم، بتتبع سِيَّرهم قبل وبعد دخولهم في الإسلام، من ناحية

[1] ـ عريب محمد عيد: الخطاب النبوي خريطة البيان العربي، ص 45

[2] – الرافعي: وحي القلم، ج3، ص 4

أخلاقهم، وأقوالهم، ومعاملاتهم كلها، فخطابه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أدى دوره التواصلي الاجتماعي المصلح، من خلال أسلوبي الترغيب والترهيب، كما حظي خطابه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقبول وفاعلية في المجتمع، لأن له ميزات تميزه عن غيره من الخطابات أهمها أنه:

ـ معبر: ذلك أن النبي عربي قرشي بليغ سلم لسانه من عيوب الكلام.

ـ موصل: ذلك أن خطابه تصل رسالته في قناة التواصل بلغة مدروسة ومنظمة ومفهومة مناسبة لسياق الحال النفسي، وفقا للأعراف و التقاليد الاجتماعية والدينية والسياسية .

ـ مؤثر: لأن تعبيره الوجداني يحرك نوازع المتلقي، ويؤثر في أحاسيسه، ومستويات الانفعال لديه، وكون الخطاب من منطق عقل النبي صلى الله عليه وسلم، وبذلك يتواصل النبي مع المتلقي في إطار تأثير وتأثر ذا بعد تفاعلي بين طرفي الرسالة والسياقات المحيطة بها[1]، إن المتتبع لأحاديث النبي وخاصة منها تلك التي تكون في محاورات سيستشعر منها تلك الفاعلية في كلامه، ومراعاته للمقام بكل مكوناته، من متلقٍ وظرف وانتماءات اجتماعية، وربما حتى حالات الجو من حرارة وبرودة وإلى غير ذلك من المكونات السياقية، التي ما كان لخطاب أن يراعيها كلها إلا الخطاب النبوي وبلاغته.

[1] ـ ينظر: الخطاب النبوي، عريب محمد عيد ص 48

ويعد الحديث النبوي ثانيا بعد القرآن الكريم من حيث البيان والهداية، فكان شارحا ومبينا له ،وكما أن النبي متخلق بأخلاق هذا القرآن فقد كان يتفاعل مع الناس بتلك الأخلاق قولا وعملا؛ يقول كمال عز الدين:" البيان النبوي كالقرآن المجيد في الهداية والغاية، لكن النطق المباشر لنفس الرسول صلى الله عليه وسلم يصورها في الرضا والغضب واليسر والعسر، والحرب والسلم، وجميع الأحوال، فالقيم الصوتية فيه قيم شعورية تمليها المواقف، وهي عند البلاغيين تقاس بالبديع"[1]، وعليه فالبيان النبوي جمع بين العصمة والفطرة اللغوية السليمة، والعقل الراجح الموجه للمعاني، والمنطق الحسن ذي الجرس الشجي، الذي تأنس له النفوس وتتجاوب معه.

[1] ـ كمال عز الدين: الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص 275

الفصل الثاني:

أثر الإيحاء الصوتي والسياق في إبراز المعنى في كتاب الرقائق من صحيح البخاري

ـ المبحث الأول: أثر الإيحاءات الصوتية في تصوير المعنى

لقد عرفنا فيما سبق أن للأصوات مخارج وصفات مميزة لكل صوت وبقي أن نذكر في هذا المبحث بالذات أن للأصوات شيء آخر ألا وهو الإيحاءات الصوتية التي تستشعرها النفس من خلال صفة النطق بالصوت وحسب موقعه في اللفظ سواء أكان في أوله أو في وسطه أو في آخره، كما أن تآلف مجموع إيحاءات الأصوات المكونة للكلمة يسهم في إبراز معناها العام فتستشعره النفس، وهذا القول ليس ببدع وإنما عرفته العرب قديما في لغاتها، كما أن العديد من العلماء يرون أن هذا من خصائص اللغة العربية فأثاروا هذه الفكرة وبثّوها في كتبهم وقدموا لها أمثلة ومن بينهم ابن جني في كتابه الخصائص الذي عقد فيه بابين بهذا الصدد؛ وسم الأول منها [بـ(باب في تساقط الألفاظ لتساقط المعاني) وسم الثاني بـ(باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني) فقال في هذا الأخير :"اعلم أن هذا موضع شريف لطيف وقد نبه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته.

قال الخليل كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا صر وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا صرصر" [1]، أن هذا القول الذي أورده ابن جني عن الخليل أراد أن يبرز من خلاله دلالة الصيغة الصرفية على المعنى وأردف في موضع آخر ـ تأكيدا ـ على أن هذا من سنن اللغة العربية واستعمالاتها؛ ومن بين هذه الاستعمالات التي ذكرها ما أشار إليه من دلالة الأصوات على معانيها حيث قال: " فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل

[1] . ابن جني: الخصائص، ج2، ص152

أصواتها من الاحداث فباب عظيم واسع ونهج عند عارفيه مأموم وذلك أنهم كثير ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها فيعدلونها بها و يحتذونها عليها وذلك أكثر مما نقدره وأضعاف ما نستشعره [1] وهذا القول تأكيد منه على أن هذا الأمر موجود في اللغة العربية، وكذلك نجد أن فخر الدين الرازي(ت606هـ) من بين العلماء الذين يرون أن للأصوات إيحاءات معنوية؛ إلا أن نظرته لهذه الظاهرة أخذت منحى آخر حيث وظفها في عملية الكشف عن أحوال شخصيات الناس من خلال أداءاتهم المختلفة للأصوات ومثل لذلك بقوله: "اعلم أن الصوت العظيم الغليظ الثقيل يدل على قوه الحرارة، فإن الحرارة توجب توسع قصبة الرئة وتوسعها يوجب عظم الصوت، وأيضا الحرارة توجب عظم النفس، وهو يوجب سعة الصدر، وذلك يوجب الشجاعة، بسبب أن الصوت العظيم الثقيل الغليظ يدل على الشجاعة "[2]،وبالتالي فإن الألفاظ عنده توحي بدلالات نفسية كالشجاعة ، وما نستفيده من قوله هذا هو أن ظاهرة تجسيد المعاني من خلال الأصوات موجوده عند العلماء القدامى، ومن المحدثين من يدعم فكرة إيحاءات الأصوات على معانيها عبد الله العلايلي ، وزكي الأرسوزي ، ومحمد المبارك و عباس محمود العقاد الذي يرى أن لمواقع الحروف أثر في اختلاف المعاني التي توحي بها؛ ومثل لذلك بمواقع حرف الحاء من الكلمة حيث ذكر أن الكلمات التي تبتدئ بحرف الحاء غالبا ما توحي بمعاني الضيق والحجر؛ كالحبس الحد والحرس، وعلى النقيض من ذلك موقع حرف الحاء في آخر الكلمة، حيث ذكر أنه

[1] ـ السابق ، ص 157

[2] ـ محمد الرازي فخر الدين، الفراسة، تح: مصطفى عاشق، مكتبة القرآن، القاهرة، د ط، د ت، ص68

غالبا ما توحي الكلمات التي يتذيلها الحاء بمعاني السعة والانفراج ككلمات الارتياح ، والفتح ، والسماح والنجاح إلخ [1]، ونجد أن لفكرة علاقة الصوت بالمعنى مناوئين أيضا، ومن أبرزهم إبراهيم أنيس الذي يقول: "ولا يسع الباحث المنصف بعد كل هذا إلا أن يعد أولئك الذين انتصروا للربط بين الأصوات والمدلولات قوما من الأدباء يستشفون في الكلمات أمورا سحريه ويتخيلون في منطوقها رموزا وعلامات لا يراها اللغوي العلمي"[2]، إلا أن رفضه لهذه الفكرة جوبه بالصد؛ لأن منطلقه ناتج عن تطبيقات أجريت على لغات أخرى غير العربية؛ يقول د. مدحت حسيني ليمونة " والحق أن إبراهيم أنيس في هذه الفكرة يتابع الفكر الغربي ، فهذا (دي سوسير) رائد علم اللغة الحديث الذي رأى أن العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية وأن ما تدل عليه يأتي بالاتفاق والاصطلاح والامتداد الطبيعي للتطور الصوتي الصرفي"[3]، والحقيقة أن خصائص اللغة العربية غير خصائص الفرنسية لذا فإنه يجب مراعاة هذه الخصوصية التي تميز الكلمة العربية، ولقد أكد هذا زكي الأرسوزي فالكلمة العربية تختلف عن غيرها في التطور؛ فالكلمة الفرنسية مثلا تُعرف بالرمز، وهذا يعني أن العلاقة بين الصوت والمعنى في هذه الكلمة تقوم على العرف لا عن رابطة طبيعية، كما أنها تخضع لمبدأ التقليد اللفظي؛ فتتأثر باختلاف الظروف بين المقلد والمثال الأصلي لذا فبعد أجيال تتبدل معالم الكلمة تماما وهذا ما يفسر عدم فهم الفرنسيين لأدبهم المعاصر لأدبنا العباسي،

[1] ـ ينظر: العقاد: أشتات مجتمعات في اللغة العربية ، مؤسسة هنداوي، القاهرة، د ط، 2012م، ص 34

[2] ـ إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1966م، ص134

[3] ـ مدحت حسيني حسيني ليمونة، البلاغة الصوتية في الأحاديث النبوية، جامعة الأزهر، دط، دت، ص21

أما الكلمة العربية ثابته منذ نشأتها، فبينما كانت الكلمة عند غيرنا تتطور من جيل إلى جيل حتى تصبح في نهاية الأمر مختلفة المعالم عن نشأتها، كانت الكلمة العربية تبقى على ما هي عليه لا يؤثر فيها الزمان[1]، وبالتالي فإن العلاقة بين الصوت والمعنى في العربية يجب دراستها بخصائص العربية وهذا يحتاج إلى بحث تعمق وتجنب للأحكام المسبقة، يقول ابن جني :" وهذا النحو من الصنعة موجود في أكثر الكلام وفرش اللغة، وإنما بقي من يثيره ويبحث عن مكنونه بل من إذا أُوضح له وكشفت عنده حقيقته طاع طبعُه لها فوعاها وتقبلها"[2] ويحذو حذو ابن جني من المحدثين في تأكيد هذا محمد المبارك حيث يقول"... ولكنه طريق ينبغي أن يُشق وباب يجب أن يُفتح ولا ريب عندي أن متابعة التحري والبحث في هذا الاتجاه سيؤدي إلى نتائج عظيمة في تاريخ الكلم العربي ونظرات عميقة في تركيبها "[3]، لذا فهذا البحث يطمح لأن يكون على قدر المسؤولية التي أوصى بها العلماء بهذا الصدد، فكان تطبيقنا على احدى عشر كلمة وردت في الحديث النبوي الشريف في كتاب الرقائق من صحيح البخاري وهي مرتبة كالآتي :

(نهش ـ حبطا ـ نفح ـ نفط ـ صعق ـ يكفأ ـ الثعارير ـ الضغابيس ـ امتحشوا ـ ضحضاح ـ قشبني)

و هي التي تحتها سطر في الأحاديث التالية:

[1] ـ ينظر: زكي الأرسوزي، العبقرية العربية في لسانها، دار اليقظة العربية، دمشق، دط، 1962م، ص 7

[2] ـ ابن جني: الخصائص، ج2، ص 152

[3] ـ محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، دمشق، دط، دت، ص105

1– {...عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا مُرَبَّعًا وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ وَقَالَ هَذَا الْإِنْسَانُ وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا **نَهَشَهُ** هَذَا}. [1]

في هذا الحديث وجّه النّبيّ موعظة لمن يطيل أمله ويتشبث بالدنيا، بمخطط تشبيهي بحال الإنسان وطول أمله الذي لا ينتهي في ظل وجود أجله المحدود و الأعراض أو المهلكات التي قد تصيبه في أي لحظة أو بغته؛ إذ شبّه الأجل والأعراض التي تعترض الإنسان بالحيوان الضاري الذي ينهش، فعبر عن هذه اللّحظة الغادرة بقوله:(نهش) وفي لسان العرب " نَهشَ ينهَشُ و ينهِشُ نهشاً تناول الشيء بفمه ليعضه فيؤثر فيه ولا يجرحك" [2]، إن التعبير بلفظ نهش كان له أثر بالغ في تصوير بغته الأجل والدواهي والمهلكات التي تعرض الإنسان وسرعه فتكها به، ونلحظ ذلك مجسّدا في الأصوات المشكلة لهذا اللفظ؛ فصوت النون مجهور متوسط الشده ويقول عنه العلايلي :"إنها للتعبير عن البطون في الأشياء "[3] وفي هذا اللفظ بكلمه نهش نلحظ أننا نقوم بالضّغط على صوت النّون وننبره قليلا مقارنه بصوتي الهاء والشين وهو ما يخدم المعنى؛ إذ يقول حسن عباس حول هذا : " أما إذا لفظ بشيء من الشّده والتوتر فلابد لموحياته الصوتية أن تتجاوز ظاهره الانبثاق العفوية

[1] – البخاري :الجامع الصحيح /6417/

[2]– ابن منظور: لسان العرب، مادة (نهش)

[3]– عبد الله العلايلي: تهذيب المقدمة اللغوية، دار السؤال، دمشق، ط3، 1406هـ . 1985م، ص64

إلى النفاذ القصري والدخول في الأشياء" [1] إذن فبمعنى البطون في الأشياء والدخول القصري فيها يتبين لنا مساهمه صوت النون في تصوير غرس أو غوص أنياب هذه الأفعى في لحم الإنسان، ولا شكّ أن ذلك يكون بسرعه فائقة إذ لا نتصور أن إنسانا يرى أفعى تقترب منه لتعضه وله مندوحة في تفاديها ثم تتمكن من عضه.

وصوت الهاء مهموس رخو ولقد أحصى حسن عباس عدة المصادر التي يتوسطها صوت الهاء في المعجم الوسيط فوجد " مئتين وأربعة وعشرين مصدرا . وما أكثرها . كان ... منها ثمانية وأربعون لمعاني الشده و الفعالية و القطع و القشر و الكسر و ما إليها"[2] ، ولا شك أنّ هذه المعاني أوحى ما تكون على جانب عنيف من معاني صوت الهاء وهو المعنى الذي ساهمت به في لفظ نهش بتصوير قطع اللحم للغوص فيه، ولقد ختم فعل النّهش بصوت الشين الذي أكمل تصوير المعنى فالشين صوت مهموس رخو ولقد جسد في اللفظ معنيين وطيدين به؛ "فهو يوحي بإحساس لمسي بين الجفاف والتقبض " [3]؛ فمن جهة جسد معنى التقبض في عمليه النهش، وكون النهش لدغا، واللدغ يقتضي نفث سم في جسم الملدوغ.

وبالتالي فإن استعمال رسول الله صلى الله عليه وسلم للفظ نهش في تصوير هذا المعنى كان غاية في الدقة؛ إذ جعل السامع فعلا يتصور بغتة الأجل والمهلكات كأنها أفعى

[1]– حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، اتحاد الكتاب العرب، دط، 1998م، ص160 . 161

[2] –نفسه ، ص 202

[3] – نفسه، ص 115

تنهشه من حيث لا يحتسب فينتشر سمها سريعا في جسده، والجامع في الصورتين الهلاك الطارئ في ظل قيام أمل الإنسان الذي لا يموت و يشغله عن ذكر الموت.

2 – {...قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ... أَلَا يَأْتِي الْخَيْرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ وَإِنَّ كُلَّ مَا أَنْبَتَ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ **حَبَطًا**...} [1]

الحديث الشريف على طوله يحمل مثلين؛ للذي يكثر في جمع الدنيا دون إنفاق وهو ما يعنيه هذا المقطع من الحديث وللذي يكفر في جمعها مع البذل والانفاق في سبيل الله "[2]؛ أما من يجمعها ولا ينفق منها وضرب الرسول له مثلا حسيا؛ إذ شبهه بالدّابة التي تجد عشبا كثيرا فتأكل دون توقف حتى تنتفخ وتتسبب بهلاك نفسها فاستعمل . صلى الله عليه وسلم . في الإيحاء بهذه الصورة للسامع لفظ (حبطا) الذي توفقت أصواته في الدلالة على المعنى توفقا عجيبا؛ فقد جاء في لسان العرب " الحَبَطُ وجع يأخذ البعير في بطنه"[3]، فلفظ حبطا في الحديث جاء للتعبير عن التخمة ووجع البطن ولكن ما كان للفظ آخر أن يجسد هذا المعنى كما جسدته أصواته، فصوت الحاء صوت مهموس رخو وجاء في معانيه أنه" للخفيات" [4]؛ ولا شك أنه ساهم في كون هذا الوجع شيئا خفيا باطنيا، وصوت الباء صوت مجهور شديد " بحكم انفجاره الصوتي بانفراج الشفتين سريعا بعد ضمّه شديده فهو أوحى ما

---

[1] – البخاري: الجامع الصحيح،/ 6427 /

[2] – السيوطي: التوضيح في شرح الجامع الصحيح، تح: رضوان جامع رضوان، مكتبة الرشيد، الرياض، ط1 ،1419 . 1998 ، ص3827

[3] – ابن منظور: لسان العرب، مادة (حبط)

[4] – العلايلي: تهذيب المقدمة اللغوية، ص63

يكون بمعاني البجع و الحفر... والشدة"[1]، وهو ما ساهم في ارتسام صورة التألم الناجم عن انتفاخ البطن وتصلّبه، وصوت الطاء صوت شديد مطبق يوحي بشيء باطني من جهة، ومن جهة معناه يقول العلايلي: " أنه " للملكة في الصفة و الالتواء والانكسار"[2] ولا جرم أن هذا الصوت أمكن من ساهم في معنى التمغّص والاتواء في لفظ (حبط) كما يضيف آخر في وصف هذا الصوت بقوله: " إنما هو تفخيم للتّاء الرقيقة و عندما ينفخ في الرّقيق و يضخم لابد أن نحصل معه على ما هو مجوف كالطبل ... وله إيماء بصري من الضخامة بين التكور والفلطحة"[3]، فلا شّك بعد هذا التخريج يظهر لنا مدى اثر أصوات لفظ (حبطا) في تجسيد المعنى وتمكينه من المتلقي الذي ربما ما كان ليستشعره في أحد من الألفاظ التي هي في نفس الحقل المعنوي.

3-{... إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمْ الْمُقِلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا **فَنَفَحَ** فِيهِ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا}.[4]

هذا الحديث الشريف يتحدث عن صنفين من الأغنياء في الدنيا ومن يجمعونها؛ صنف يجمعها دون إنفاق وصنف يجمعها وينفق منها ابتغاء الأجر في الآخرة، فالمعنى أنه قال: " (إن المكثرين من المال هم المقلون) من الأجر (يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيرا) مالا

[1] – حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص101

[2] – العلايلي: تهذيب المقدمة اللغوية، ص64

[3] – حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص119 . 120

[4]– البخاري: الجامع الصحيح / 6443 /

(فنفح فيه) أي أعطى"[1]، ولقد عبر صلوات الله عليه عن هذا الإعطاء بلفظ (نفح) تعبيرا عن هذا الإنفاق الذي يُكسب صاحبه الأجر والثواب؛ إذ قد يعطي كل المكثرين ولكن إنْ رافق هذا الإعطاء رياء وسمعة، أو أعقبه منٌّ وأذى، فهو ليس مقبولا عند الله سبحانه وتعالى، أما في تعبيره بلفظ (نفح) يستشعر السامع بأن هذا اللفظ هو تعبير عن إنفاق خالٍ من هذه الشوائب، من خلال وقع أصواته، وفي اللسان " نفحَ الطيب ينفحُ نفحا نفوحًا: أرجَ ... وفي الحديث إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها ... ومنه حديث أسماء قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: انضحي وانفحي ولا تحصي فيحصي الله عليك" [2] ؛ إذن نستشف من هذا المعنى أن النفح ضرب من الإعطاء تكون النفس به طيبة، استُثنيَ في الحديث صحابهُ من كونهم مقلين من الأجر يوم القيامة.

ولأصوات هذا اللفظ نصيب في إبراز معناه؛ كونه اقتطاعا من مال ذات النفس وإخراجه منها وإدخاله في ملك ذات أخرى؛ فصوت النون صوت مجهور متوسط الشدة و من معانيه "الانبثاق والخروج "[3] ولقد أحصى حسن عباس في المعجم الوسيط مئة وعشرين مصدرا تبتدأ بحرف النون تدل على هذا المعنى منها (نبأ ـ نتأ ـ نبا ـ نزف ـ نهب ـ نفث) الخ [4]، وبالتالي فقد حقق صوت النون في لفظ (نفح) معنى إخراج وانبثاق المال من عند صاحبه، وصوت الفاء صوت مهموس رخو وفي كيفيه إنتاجه نستوحي معنيين يخدم كلاهما المعنى من

[1] – القسطلاني: إرشاد الساري، ج 13، ص 444

[2] – ابن منظور: لسان العرب، مادة (نفح)

[3] – حسن عباس: خصائص الحروف العربية ، ص160

[4] – ينظر: نفسه، ص162

جهة؛ أحدهما متعلق باللفظ، والآخر بالحديث ككل يقول حسن عباس عن صوت الفاء " في الحقيق إن الفراج الأسنان العليا من الشفة السفلى (كصورة بصرية مرئية) يمثل الأحداث الطبيعية التي يتم فيها الشقُّ والفصل والتفريق والتبعيد و التوسع" [1] وهو المعنى المقارب في لفظ نفح كونه شقا وفصلا للمال بغية إنفاقه " كما أن بعثرت النفس عند خروج صوت الفاء يحاكي الأحداث التي تنطوي على البعثرة والتشتت دون ما عنف أو شدة "[2] وبالتالي نلحظ أن هذا المعنى الثاني لصوت الفاء يخدم معنى الحديث ككل حين الرجوع إلى قوله (فنح فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه) وهذا هو المعنى الفعلي للتشتيت دون ما عنف فصاحب المال هذا ينفقه على كل هذه الجهات ويشتته، ومن حيث كونه دون ما عنف هو المعنى الحقيقي لكون هذا الإنفاق عن طيب نفس بغية نيل الأجر والثواب.

وصوت الحاء صوت مهموس رخو وإذا كان في آخر الكلمة أوحى بمعاني متعددة، ولقد عثر حسن عباس في المعجم الوسيط عن ما مجموعه أربعة وسبعون مصدرا تنتهي بالحاء فكان منها سبعة عشر مصدرا تتوافق مع الحاء مرققا، وسبعة مصادر لمشاعر إنسانية وثمانية وعشرون مصدرا لمعاني الرقة والصفاة والنقاء والكياسة وثمانية وعشرون مصدرا لمعاني الشدة والفعالية والقشر والحفر والقطع[3]، الملاحظ في صوت الحاء في لفظ نفح أنه جمع بين كل هذه المعاني؛ فهو من جهة يحمل كل من معنى الرقة و النقاء والكياسة

[1] – السابق، ص 133

[2] – نفسه، ص نفسها

[3] – ينظر، نفسه، ص187

والمشاعر الانسانية التي تتوافق مع معنى النفح؛ والفعالية من حيث هو فصل للمال من أجل إعطائه للغير؛ وتكمن الفعالية في أن صاحب المال لمّا يريد بذله في الخير تواجهه نفسه مانعةً إياه من فعل ذلك، ولهذا فهو بهذا العطاء يُروّضُ ويربي هذه النفس الأمارة ويجعلها نفسا مطمئنة راضية بهذا الفعل.

4 – {...حَدَّثَنَا حُذَيْفَةُ قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَيْنِ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ حَدَّثَنَا أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ثُمَّ عَلِمُوا مِنْ الْقُرْآنِ ثُمَّ عَلِمُوا مِنْ السُّنَّةِ وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ **فَنَفِطَ** فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ}. [1]

مدار الحديث الشريف على الأمانة التي أودعها الله قلوب عباده للحفاظ عليها، والشّق الثاني من الحديث يتحدث عن رفع الأمانة من هذه القلوب، وهذا لعلم الله في الازل بتغير أحوال العباد وضعف حملهم لها، والأمانة المقصودة في هذا الحديث هي " ضد الخيانة والمراد برفعها إذهابها بحيث يكون الأمين معدوما أو شبه معدوم"[2] فتحدث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن رفعها تدريجيا وعن أثرها الذي يأفل شيئا فشيئا بضرب مثل تصويري للمستمع بأن أثرها يصبح كالوكت وهو أثر النّار ونحوه، ثم كالمَجْل وهو أثر العمل

[1] – البخاري: الجامع الصحيح،/6497/

2– شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح البخاري، تح: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، الرسالة العالمية، دمشق، ط1، 1434هـ . 2013م، ج10، ص221

في الكف وهكذا إلى أن ينمحي أثرها تماما فتنعدم" [1]، ومن بين الألفاظ التي شبه بها النبي أثر الأمانة قوله: كجمر دحرجته على رجلك (فنفط)، إن لفظ نفط الأخير أُختير في أدق مكان له للتعبير إيحاء بمعناه، ففي لسان العرب " الَنفَطُ بالتحريك المَجْلُ وقد نفِطت يده بالكسر نفطًا ونَفَطًا و نفِيطًا و نَفَّطَتْ قرحت من العمل، وقيل: هو ما يصيبها بين الجلد واللحم وقد أنفطها العمل"،[2] والمعنى أن نفط اليد هو تلك النتوءات التي تظهر أسفل أصابع اليد نتيجة العمل بالفأس وغيره بسبب الاحتكاك الشديد الذي تتعرض له اليد من ذراع هذه الالة الخشبي.

ولقد حاكت الأصوات المشكلة للفظ نفط معناه تماما؛ حيث إن النون صوت مجهور متوسط الشده ويقول العلايلي في معناه إنه: "يدل على البطون في الشيء"[3] وهو ما أفاد في المعنى الذي في لسان العرب كون النفط هو ما يصيب اليد بين الجلد واللحم وهو مكان باطني، وصوت النون يفيد من جهة أخرى الانبثاق والظهور ولقد أحصى عباس حسن مئة وعشرين مصدرا تبدأ بالنون من المعجم الوسيط تدل على هذا المعنى؛ منها (نبأ، ونتأ، ونتح) وغيرها [4]، إذن من هذا يبدو الارتباط وثيقا بين صوت النون و إفادة معنى الانبثاق والظهور؛ بحيث إن هذا الظهور ناجم عن تبطّن شيء تحث المُظهر سبب نتوءه، وصوت الفاء صوت مهموس رخو " ويقول عنه ابن جني : إنه لرقه صوته كثيرا ما يضفي معنى الضعف والوهن

[1] – ينظر: السابق، ص222

[2] – ابن منظور: لسان العرب، مادة (نفط)

[3] – العلايلي: تهذيب المقدمة اللغوية، ص64

[4] – ينظر: حسن عباس: خصائص الحروف العربية، ص162

على الالفاظ التي يدخل في تركيبها و لا سيما المؤلفة من حروف (د ت ط ر ل ن)" [1]؛ إذن فقد توافرت كل أسباب اضفاء معنى الوهن والضعف في لفظ نفط من صوت الفاء كونه التقى مع صوتي الطاء والنون حسب نص ابن جني وبالفعل أفاد هذا المعنى؛ لأن ذلك النتوء الذي يكون في اليد له ملمس رخو أشبه بملمس كيس بلاستيكي مملوء بالماء فالجلد في تلك الحالة له ملمس رخو جدا مقارنه بتماسكه قبل.

وصوت الطاء مهموس شديد وذكرنا سابقا في تحليل كلمه حبط أن عباس حسن قال عنه إنما هو تفخيم للتاء الرقيقة و عندما ينفخ في الرقيق ويضخم لابد أن نحصل منه على ما هو مجوف كالطبل، وله إيحاء بصري من الضخامة بين التكور والفلطحة؛ إذن فلقد أفاد صوت الطاء في لفظ نفط معنى التجوّف والتكور في كون ذلك التقرح يبدو ككيس ممتلئ بالماء ومنتفخ، ومنه فإن المعنى في نفط ارتبط ارتباطا وثيقا بلفظه؛ وألحّ في إبراز هذا إرفاق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد هذا اللفظ قوله (فتراه منتبرا) من النبر أي البروز، فهذا النفط تراه ظاهرا منبثقا.

5 – { ...فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ فِي أَوَّلِ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَكَانَ مُوسَى فِيمَنْ **صَعِقَ** فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَثْنَى اللَّهُ}.[2]

[1] – السابق: ص 132

[2] – البخاري: الجامع الصحيح: / 6517 /

جاء هذا الحديث الشريف في سياق اختصام بين رجلين؛ مسلم انتصر للرسول محمد عليه الصلاة والسلام، ويهودي انتصر لموسى عليه السلام وفضله على النبي صلى الله عليه وسلم فضرب المسلم اليهودي، فاشتكى الأخير إلى الرسول فعلة المسلم فقال النبيّ : لا تخيروني على موسى " أي لا تفضلوني ولا تجعلوني خيرا منه" [1]، وهذا تعظيما لشأن موسى عليه السلام، وليظهر النبيّ القيمة العليا لموسى ذكر في حديثه موقفا عظيما يتمكن من لبّ السّامع ويشعره بفضل النبي موسى؛ ألا وهو لحظه الصّعق يوم القيامة بعد النّفخ في الصور وهو موقف مهيب فذكر أنه من أول من يفيق إلا أن موسى يفيق قبله وذكر أنه لعله ممن استثنى الله مصداقا لقوله تعالى: ﴿ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الارْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ﴾ [الزمر 68]، ومن الألفاظ القوية التي وظفها رسول الله صلى الله عليه وسلم تأثيرا في السامع لفظ (صعق) ذا الأصوات القوية التي تخدم هذا السياق ويقال في اللسان: 'صَعِقَ الإِنْسانُ صَعْقًا وصَعَقًا فهو صَعِقٌ: غُشي عليه و ذهب عقله من صوت يسمعه كالهدة الشديدة، وصَعِقَ صَعَقًا وصَعْقًا وصَعْقَةً وتَصْعَاقِا فهو صَعِقٌ: مات ... والصاعقة والصَعْقَةُ الصَيحةُ يغشى منها على من يسمعها أو يموت"[2]، وسواء أكان هذا الصعق في الحديث غشي أو موت فهو ناتج عن جراء النفخ في الصور "(البُوق) بضم الموحدة الذي ينفخ فيه

[1] – الكرماني : شرح الكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2 ،1401 . 1981م، ج23، ص31

[2] – ابن منظور: لسان العرب، مادة (صعق)

للصوت العظيم"[1]؛ وبالتالي فإن الصعقة هي غشي أو موت ينجم عن صوت شديد؛ أو هي الصوت الذي ينتج عنه غشيٌ أو موت بحد ذاته.

ولقد كان لأصوات لفظ صعق تطابق تام مع معناه؛ حيث إن الصاد صوت صفيري " ويدل على المعالجة الشديدة، وبالتالي فهو صوت لصيق بمعنى كون الصعق ناجما عن صوت شديد، ولو أنعمنا النظر قليلا نلاحظ أن صوت الصاد قد اشترك فيه اللفظان (صور وصعق) وكان في بدايتهما وبالتالي فهو يخدم المعنيين معا؛ معنى كون الصعق اثر صوت الصور؛ أو أن الصّعق هو الصوت نفسه، وبالتالي لمّا يتمثل السامع في ذهنه الفاظ (صاد ـ صور ـ صوت ـ صعق) سيستشعر الموحيات الصوتية لصوت الصاد؛ ومنه يستشعر عظم صوت الصور وشدّة الصعق؛ ومنه فالصاد جسّد معنى الصوت الشديد من لفظ صعق.

وصوت العين صوت متوسط الشدة ويقول عنه العلايلي إنه:" يدل على الخلو الباطن أو الخلو مطلقا"[2]، ولمَّا نعود لمعنى (صعق) نجده إما موت أو غشي؛ ولا شك أن كلاهما خلوا؛ فالموت خلو الإنسان من الروح، والغشي هو خلو الإنسان من العقل أو الوعي، وبالتالي فصوت العين يوحي بهذا المعنى من لفظ (صعق) ويجعله يتمكن من ذهن السامع، فيستحضر عظمة الصعق الذي يطال كل مَن بالموقف، فيدرك حقا مكانة النبي موسى؛ حيث أنه أول من يفيق من هذا الصعق، أو أن الله جعل له مزية من دون الناس فلم

[1] – الكرماني: شرح الكرماني، ج23، ص 30

[2] – العلايلي: تهذيب المقدمة اللغوية، 64

يصعق أصلا، فسياق الحديث جاء بطوله ليبرز حق النبي موسى على كل مؤمن ووجوب تعظيم مكانته.

6 – {... قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا **يَكْفَأُ** أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ. فَأَتَى رَجُلٌ مِنْ الْيَهُودِ فَقَالَ بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَلَا أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }.[1]

الحديث الشريف يتحدث عن أرض المحشر التي أعدها الله سبحانه وتعالى لأهل الجنة فشبهها بالعجينة التي تصير فيما بعد خبزة؛ فذَكر الخبزة مباشرة مجازا مرسلا باعتبار ما سيكون، يقول ابن الملقن:" الخبزة الطُلمة وهي عجين يوضع في الحفرة بعد إيقاد نار فيها"[2]، وقصد الحديث بالخبزة التي يعدها المسافر في سفره؛ ما تعرف بخبز الملّة التي لها إعداد خاصّ ليس كالخبز العادي، إذ عبّر عن هذا الإعداد بلفظ (يتكفؤها ويكفأ) " يتكفؤها يريد الخبزة التي يصنعها المسافر ويضعها في الملّة فإنها لا تبسط كالرقاقة وإنما تقلب على الأيدي حتى تستوي" [3]؛ فعجينة هذه الخبزة لا تُبسط كالخبز العادي بل تترك منتفخة ناتئة، إنما تقلب على اليد فقط حتى تستوي ثم توضع في التراب.

ولقد جاءت أصوات لفظ (كفأ) مناسبة ومحاكية لهيئة هذه العجينة تماما ومصورة للمعنى؛ فصوت الكاف صوت مهموس شديد ويقول عنه العلايلي إنه :"يدل على الشيء

[1] – البخاري: الجامع الصحيح، / 6520 /

[2] – سراج الدين أبي حفص عمر بن علي الأنصاري الشافعي: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تح: دار الفلاح، إدارة الشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1429هـ .2008م، مج3، ص10

[3] – ابن منظور: لسان العرب، مادة (كفأ)

ينتج عن الشيء في احتكاك"[1] إن معنى الاحتكاك الذي في صوت الكاف يوحي بمعنى التقليب والمعالجة لهذه العجينة؛ حيث يدلكها الإنسان ويقلبها من يد إلى أخرى ، وصوت الفاء كما سبق صوت مهموس رخو يوحي بمعنى الوهن في الأشياء، فهذا الصوت أضفى معنى الرخاوة التي هي أهم ميزه تكون في العجينة، أمّا صوت الهمزة فصوت لا مجهول ولا مهموس، و يقول حسن عباس في معانيه إذا كان في آخر الكلمة:" أما الهمزة في وسط الكلمة وفي آخرها فلا تأثير لها يُذكر في معانيها وإن ظلت توحي للسّامع بالبروز والنتوء"[2] فمن معنى النتوء في هذا الصوت فقد ساهم في المعنى من كون هذه العجينة تترك منتفخة ناتئة فلا تبسط كالرقاق لذا فكان التعبير بلفظ (كفأ) عن هذه الحال أبلغ من لفظ آخر في نفس السياق مثل خبز أو عجن ومنه فالسامع يستشعر المعنى الذي يوحي له بالرقة واللطف الذين هما المقصود من الحديث لبيان حال عباد الله المؤمنين في أرض المحشر وكيف يلينها الله لهم .

7 و8– { حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ عَمْرٍو عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ كَأَنَّهُمْ **الثَّعَارِيرُ** قُلْتُ مَا الثَّعَارِيرُ قَالَ **الضَّغَابِيسُ** ...}. [3]

[1] – العلايلي: تهذيب المقدمة اللغوية، ص64

[2] – حسن عباس: خصائص الحروف العربية، ص96

[3] – البخاري: الجامع الصحيح: / 6558 /

يصف النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلم ـ في هذا الحديث الشريف الهيئة التي يخرج عليها أناس من النار يوم القيامة، وذلك بعد أن شملتهم شفاعته وبعد أن قضوا ما كتب الله لهم أن يمكثوا فيها، فشبههم بقوله: كأنهم (الثعارير) فاستعجم اللفظ على محدثه فأعجمه رسول الله له بلفظ (الضغابيس)، وبعد التقصي على هذين اللفظين بدا لنا مدى ملاصقتهما للمعنى المراد ومدى محاكاة أصواتهما لهذا المعنى .

الملاحظ من سياق الحديث الشريف أن هذين اللفظين استعملا على سبيل الترادف وأن أحدهما جاء شارحا للآخر ومبينا له بعد عجمته، وكان هذا مناسبا كونهما من خلال المعاجم دلاّ على معان تكاد تكون متفقة تماما؛ وهذه المعاني كلها تصب في حقل الضعف والرقة التي أراد أن يصورها عليه الصلاة والسلام من خلال هذا التشبيه فالثعر في المعجم " كثرة الثآليل والثعرور الرجل القصير... والقثاء الصغير... والثعارير نبات كالهليون..."[1] نلاحظ في هذا التعريف أن هذه المعاني كلها يجمع بيها شيء واحد وهو حقل الضعف؛ فكثرة الثآليل مرض يصيب الجلد، والرجل القصير فيه شيء من المنقصة الجسمية فإن لم تكن ضعفا جسميا فهي ضعف نفسي فيه، والقثاء الصغير يكون ضعيفا ولينا، ونبات الهوليون نبات كالعيدان رقيق يسلق ويؤكل بالزيت وهو لين، وأما لفظ الضغابيس فجاء فيه " الضغبوس: الضعيف ... والضغبوس الرجل المهين والضغبوس والضغابيس القثاء

[1] – الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة (ثعر)

الصغار... وقيل هو نبت في أصول الثمام يشبه الهوليون يسلق بالخل والزيت ويؤكل"[1]، نلاحظ مدى التشابه في تعريفي كلا اللفظين، والمفيد من هذا أنهما اتفقا في أن معانيهما تصب في حقل الضعف وهو الأمر الذي حاكت أصواتهما معناه؛ فاللفظ الأول مشكل من أصوات أصليه هي (الثاء والعين والراء)؛ فصوت الثاء صوت مهموس رخو ومعناه "يدل على التعلق بالشيء تعلقا له علاقته الظاهرة سواء في الحس أو في المعنى"[2]، فرخاوة الثاء توحي بمعنى الليونة والطراوة المشتركة بين معاني الثعارير وصورة حالة هؤلاء الناس من الضعف والوهن، وصوت العين هو صوت متوسط الشده إلا أنه بمجاورته صوت الثاء فقد تأثر بمرونته ورخاوته، ويتبين هذا من لفظنا لكلمه ثعارير؛ إذ ننطقها مرققه؛ وهذا متأتٍ من طبيعة صوت العين المرنة التي تجعله يتجانس مع العديد من أصوات العربية يقول حسن عباس: " وهكذا بتوافق خصائص العين مع خصائص أصوات الكثير من الحروف قد سهّل عليه أن يتعاون مع الحروف العربية جميعا، ضعيفها وقويها رقيقها وغليظها ما عدا حرف الحاء للاستثقال وحرف الغين للتناقض في الخصائص والمعاني"[3]، والظاهر أن صوت العين ساهم وتعاون مع صوت الثاء في إبداء الرقة والليونة المنشود من هذا التشبيه، وصوت الراء صوت متوسط الشدّة والرخاوة والملاحظ أن لفظ (الثعارير) يُلفظ كلّه مرققا بما في ذلك صوت الراء، وقد أحصى حسن عباس اثنين وعشرين مصدرا من المعجم الوسيط تنتهي

[1] – ابن منظور: لسان العرب، مادة (ضغبس)

[2] – العلايلي: تهذيب المقدمة اللغوية، ص63

[3] – حسن عباس : خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص212

بحرف الراء تدل معانيها على الرقة والنضارة والرخاوة من بينها (البثر والثمر والخضرة والزهر)[1]، وهي المعاني التي جسّدها صوت الراء في لفظ الثعارير من الرخاوة والمرونة الجامعة بين طراوة وضعف الثعارير وصورة خلقة هؤلاء الناس بعد نباتهم من جديد لمّا صُب عليهم ماء الحياه.

ولقد وافق لفظُ الضغابيس في المعنى لفظَ الثعارير في معنى الضعف والوهن من خلال ما سبق في تعريفهما المعجمي من جهة، ومن جهة أخرى قد توفقت أصواته في تجسيد هذا المعنى؛ فالضغابيس من مادة (ضغبس)؛ فصوت الضاد مجهور وهو أحد الحروف المستعلية إلا أن صوت الضاد الأصلي قد فقد خصائصه فصار إلى هذا الوصف الشديد يقول ابراهيم أنيس: فالضاد الحديثة صوت شديد مجهور...على أن الضاد كما وصفها الخليل ومن نحو نحوه تخالف تلك التي ننطق بها الآن، فالضاد الأصلية كما وصفت في كتب القراءات أقل شدّة مما ننطق بها الآن..."[2] ، وبالتالي فالضاد لم تكن بتلك الشدة والجهارة في عهد الفصاحة، ولمّا استعمله خيرُ من نطق الضاد لإبراز معنى الضعف والوهن فلا شك أنّها ستفيد هذا المعنى ويقول العلايلي في معناه أنه " يدل على الغلبة تحت الثقل"[3]، وبالتالي فصوت الضاد أوحى بحاله الوهن والضعف التي يخرجون عليها ، وصوت الغين مجهور رخو ويقول حسن عباس في صورته الإيحائية: " إن صورته الصوتية وهو يدغدغ

[1] – ينظر: السابق، ص88

[2] – إبراهيم أنيس: الأصوات، مكتبة نهضة مصر، مصر، د ط، د ت، ص 51 ـ 52

[3] – العلايلي: تهذيب المقدمة اللغوية، ص64

سقف الحلق عند خروجه لهي أشبه ما تكون بدغدغة مُحسّة من حديد يزيل غبارا عالقا بجلد بعير وإذا خفف صوته قليلا كان أشبه بحفيف ممحاة من نسيج خشن تحك خطوطا طباشيرية مرسومه على لوح أسود ويتطاير الغبار"[1]، وهو المعنى المشترك بين الثعارير و خلقت هؤلاء الناس الجديدة التي يخرجون عليها؛ إذ من معاني الثعارير أنها نبات يسلق ثم يؤكل ويوافق هذا المعنى هيئة هؤلاء الناس؛ إذ يُجلى ما بهم من تفحّم بالنار بعد غسلهم بماء الحياة، وهذا التشبيه لصفتهم بعد أن ينبتوا أمّا في أول خروجهم من النار فإنهم يكونون كالفحم"[2]، وبالتالي فقد ساهم صوت الغين في ارتسام صورة جلي خلقتهم الأولى لتنبثق بعد ذلك خلقتهم الجديدة، وهو المعنى الذي حققه صوت الباء الذي من معانيه "الانبثاق والظهور"[3] ؛ فصوت الباء ساهم في إبداء تحولهم من حالة الاختراق المشوَهة إلى حالة النبت من جديد وتجرد خلقتهم؛ وقد تناغم مع صوت الغين في تحقيق نفس المعنى من هذا اللفظ، وينتهي بعد ذلك اللفظ بصوت السين المهموس الرخو الذي يوحي بالسلاسة والرقة، وهذا لأن "صوته المتماسك النقي يوحي بإحساس لمسي بين النعومة والملاسة"[4]، ولاشك أنه هذا المعنى يتناسب تماما مع طراوة حال هؤلاء الناس المعبر عنها في الغرض من هذا التشبيه فيما مرّ سابقا.

---

[1] – حسن عباس: خصائص الحروف العربية، ص 126

[2] – شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني: إرشاد الساري في شحر صحيح البخاري، ضبط: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ. 1996 م، ج13، ص 557

[3] – حسن عباس: خصائص الحروف العربية، ص101

[4] – نفسه، ص 111

وبالتالي فلفظا (الثعارير والضغابيس) قد اُختِيرا من طرفه صلى الله عليه وسلم أدق اختيار لتصوير حال هؤلاء من خلال تشبيههم بهذين اللفظين، ولقد كان التشبيه دقيقا صوتا ومعنى؛ فأصواتهما جسدا معانيهما المعجمية المختلفة التي رأينا أن كلها تنتمي إلى حقل الضعف هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان لمعاني أصواتهما نفس الإيحاء بهيئة هؤلاء الناس التي يخرجون عليها من الليونة والمرونة؛ وذلك حسب صفات الأصوات المختلفة بحسب تواردها ومواقعها في اللفظ.

9– { ... إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ يَقُولُ اللَّهُ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيَخْرُجُونَ قَدْ **امْتُحِشُوا** وَعَادُوا حُمَمًا...}.[1]

الحديث الشريف وصف حسي لأهل النار حين خروجهم منها بعدما قضوا ما عليهم من العذاب جزاء بما اقترفوا من ذنوب في الدنيا، فيخرجون على خلقة غير طبيعية مما أصابهم من حر النار من تشوهات جسدية فاختار صلى الله عليه وسلم لهذا الوصف لفظ (امتحشوا) تعبيرا دقيقا عن حالهم ، وثبْتُ ذلك أنه قد ورد في معاني (محش) في لسان العرب" مَحشَ الرجلَ خدشه ومحشه الحدادُ سَحَجَه، والمَحَشُ احتراق الجلد وظهور العظم "[2] إن هذا التعريف يحمل ثلاثة معاني للتعبير عن هذه الهيئة التي خرجوا عليها فالمحش هو الخدش، و السَحْجُ المقشر للجلد والناشرُ له، وهو ظهور العظم بعد قشر الجلد عنه ونشره ، ولقد كانت الأصوات الأصلية لهذا اللفظ (الميم والحاء والشين) مطابقة لمعنى هذا اللفظ و

[1]– البخاري: الجامع الصحيح، / 6560 /

[2]– ابن منظور: لسان العرب، مادة (محش)

محاكية له ومبرزة مراحل هذه العملية فصوت الميم مجهور متوسط الشدة أو الرخاوة وفي معناه يقول العلايلي:" يدل على الانجماع" [1]، فنستنبط من هذا المعنى مرحلة الاحتراق الأولى للجلد وهي انجماعه وانكماشه، وصوت الميم هو من الأصوات التي تنتجها الشفتان لذا فهو يستمد خصائصه ومعانيه من طريقة إنتاجه "ولذلك فإن صوته يوحي بذات الأحاسيس اللمسية التي تعانيها الشفتان لدى انطباقهما على بعضهما بعضا من الليونة والمرونة والتماسك مع شيء من الحرارة"[2]؛ فالضم الذي أنتج صوت الميم أوحى ما يكون لحدث فيه انجماع وانكماش وحرارة بعد هذا الضم، فقد تمثل هذا في لفظ (امتحشوا)، وصوت الحاء مهموس رخو إلا أن موالاته لبؤرة النبر المتمثلة في تاء الافتعال في(امتَحشوا) جعلته يأخذ شيئا من التفخيم والشدة يقول حسن عباس عنه: "إذا لفظ صوت الحاء مفخّما عالي النبرة أوحى صوته بالحرارة وبأصوات فيها شيء من الحدة "[3]، ولا شكّ أن بمعنى الحرارة التي فيه ساهم في حدث الاحتراق الذي يكون بعد انكماش اللحم الذي حاكاه صوت الميم قبله، ثم يستمر الاحتراق الى درجه متقدمة إلى أن يصير امتحاشا منتهاه صوت الشين الذي يفيد التفشي والانتشار والبعثرة وهو المعنى الذي ساهم به في لفظ امتحشوا كونه نشر للجلد و بعثرة له لدرجه ظهور العظم؛ فلفظ الرسول صلى الله عليه و سلم بامتحشوا أبلغ ما يكون عن التعبير عن درجه متقدمة من الاحتراق بالنار و التشوه بها ، تلخصت في ثلاثة أصوات

[1]– العلايلي: تهذيب المقدمة اللغوية، ص 64

[2]– حسن عباس: خصائص الحروف العربية، ص72

[3]– نفسه، ص181

مرتبةٍ لمراحل الحدث من انجماع واحتراق للجلد ثم بعثرة له؛ وقد زادت صيغة الافتعال في لفظ امتحشوا التعبير بها حدة لها وقع في ذهن السامع، ولها سهم في إبداء حركية هذا الفعل أضفى معنى حيا لمراحله المذكورة.

10- {...عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي **ضَحْضَاحٍ** مِنْ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ}.[1]

في الحديث الشريف يتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مصير عمه أبي طالب يوم القيامة فذكر أنه لعله تنفعه شفاعته فيخفف عنه العذاب فيوضع في أقله؛ بحيث أن أقل هذا العذاب هو نار توضع فيها قدماه إلى كعبيه فيغلي منها دماغه.

إن أبرز صورتين في المشهد تلفت نظر السّامع؛ هما هذه النار القليلة وغليان الدماغ، و من بين الألفاظ التي صور بها رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المشهد لفظ (ضحضاح) ذو الوقع المضطرب الذي توافق مع مشهد الغليان وتفاعل مع المعنى العام للحديث فلقد ورد في لسان العرب "... وماء ضَحضاحٌ أي قريب القعر ... وفي رواية أنه في ضَحضاحٍ من [نار[2]] يغلي منه دماغه، والضحضاح في الأصل ما رقّ من الماء واستعاره للنّار، والضَّحْضَحُ والضَّحضَّحةُ و التَضَحْضحُ جريُ السّراب"[3] ؛ إذن فمن معنى

[1] – البخاري: الجامع الصحيح، / 6564 /

[2] – هكذا في الأصل [نار] بدون تعريف ؛ والصحيح الذي ورد في البخاري [النار] معرّفة

[3] – ابن منظور: لسان العرب، مادة (ضحح)

القلّة المستعارة من هذا اللفظ أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم إظهار تخفيف العذاب عن عمه، هذا من جهة، أما من جهة اللفظ فقد حاكت أصواته؛ معناه؛ فصوت الضاد صوت رخو تناغم مع معنى الرقة الموجودة في اللفظ وخاصة بمجاورته صوت الحاء الذي يتوافق معه في نفس المعنى، وصوت الحاء مهموس رخو وفي معانيه يقول العلايلي:" يدل على المائية "[1] إذن فمن الرّقة الملموسة في صوت الضاد ومن معنى المائية التي في صوت الحاء نلحظ توافق لفظ (ضحضاح) مع معناه الذي هو موضوع لقلّة الماء ورقته واستعاره الرسول صلى الله عليه وسلم للنار لإبداء خفة العذاب الذي يطال عمه.

ولقد جسد التكرار الذي في لفظ ضحضاح معنى الاضطراب والحركة وهو أبلغ ما يكون في لفظ التضحضح والضحضحة الذي من معانيه جري السراب؛ ومعلوم أن السراب يتأتى من حرارة الشمس الشديدة التي تنعكس على سطح الأرض فتبدو من بُعُد كأنها ماء يتموج ويضطرب وهو المعنى الذي يوائم حركة غليان الدماغ المذكورة في الحديث .

وبالتالي من خلال أصوات لفظ ضحضاح وصيغته الرباعية التكرارية يستشعر السامع معنيين؛ معنى الليونة التي جسداها صوتا الضاد والحاء، والتي تخدم معنى تخفيف العذاب عن أبي طالب.

ومعنى غليان الدماغ الذي جسدته صيغة التكرار في هذا اللفظ، التي من معانيها الاضطراب و الحركة.

[1] – العلايلي: تهذيب المقدمة اللغوية، ص 63

11- {...إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنْ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ امْتُحِشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ قَدْ **قَشَبَنِي** رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا...}[1]

الحديث الشريف يصور مشهدا من مشاهد جزاء الله لعباده يوم القيامة وقضائه، وهذا المشهد متمثل في أمر الله سبحانه وتعالى ملائكته بإخراج من كان يشهد أن لا اله الا الله فيخرجون على حال مشوهة كما مر بنا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون، إلا رجل واحد يبقى مستقبلا بوجهه النار ويرى من هولها ويشم كريه ريحها، فعبر اللفظ النبوي عن فضاعته ريحها وتأثيره في هذا الرجل بقوله (قشبني) ولقد كان هذا اللفظ الأنسب للتعبير عن هذا الحدث، لِمَا في معنى أصواته من إيحاء بهيئته فلقد جاء في اللسان" وقَشِبه قشْبًا: سقاه السم، وقشبني ريحه تقشيبا أي آذاني: كأنه قال: سمني ريحه، وجاء في الحديث: أن رجلا يمر على جسر جهنم فيقول يا ربي قشبني ريحها معناه سمني ريحها وكل مسموم قشيب"[2]، فالقشب هو السم في الحقيقة وعبر به عن الرائحة الكريهة التي آذته فكأنها سممته وكأنها سم تجرعه.

---

[1]- البخاري: الجامع الصحيح / 6573/

[2]- ابن منظور: لسان العرب، مادة (قشب)

وقد جاءت أصوات هذا اللفظ موحية بمعناه ودالة عليه؛ فصوت القاف صوت شديد ويصفه زكي الأرسوزي أنه "للمقاومة"[1]، ولقد أحصى حسن عباس في المعجم الوسيط خمسة وثمانين مصدرا تبدأ بصوت القاف تدل معانيها على الشدة والفعالية من مثل (قضع ـ قحطر بمعنى اشتد ـ وقاض الحر بمعنى اشتد ـ وقاوم)[2]، والملاحظ بأن اللفظ المعبر به ابتدأ بصوت القاف الذي أوحى بمعنى الشدة التي يلاقيها هذا الرجل المتجه بوجهه للنار وكذلك أوحى بشيء من محاولة هذا الرجل مقاومه ريحها الذي اشتد عليه وبما أنه شبه تأذيه بالرائحة كأنه سم دخل بدنه فقد ساهم صوت الشين في تصوير هذا المشهد لأن صفه الانتشار والتفشي التي من طبيعته أوحى ما تكون عن تفشي ريح جهنم في هذا المشهد الذي أصاب بعض منه هذا الرجل وكذلك أوحى من جهة أخرى بانتشار السم في جسمه كونه كأنه تجرع سما ، ويدعم هذا المعنى صيغه الماضي التي جاء عليها الفعل؛ أي أن الرجل تسمم وانتهى الأمر أي انتشر السم في جسمه كما يحدث للمتسمم حقا.

وصوت الباء صوت شديد يوحي بمعنى الشدة التي يعانيها هذا الرجل من استقذاره لهذه الرائحة وتأذي جسمه بها؛ وبالتالي فقد تظافرت أصوات هذا اللفظ في تصوير هذا المعنى وتمكينه من السامع الذي يخيل إليه في تلك اللحظة كأنه هو ذلك الرجل فيثير فيه عاطفة الخوف من عذاب النار ومن استقذار ريحها الذي يستشعره من هذا اللفظ.

[1] – زكي الأرسوزي: اللسان العربي، نقلا عن: حسن عباس: خصائص الحروف العربية، ص 144 م

[2] – ينظر: نفسه ، ص 144

ـ المبحث الثاني: أثر السياق في اختيار الألفاظ والتعابير

إن الألفاظ والجمل هي كلام عادي وله معنى محدد، ولكن هذا الكلام عندما يدرج في سياقات معينة فإنه يتجاوز معناه العادي إلى معان أخرى أعمق، لأن السياقات تضفي منظورا آخر للكلمات والجمل فتجعل منها ظاهرة لغوية يجب الوقوف عندنا و الاستفسار عن سبب توظيفها وأثر السياق في هذا الاختيار، ومدى مناسبتها له، والحديث الشريف هو كلام المعصوم في قوله وعمله صلى الله عليه وسلم، وبالتالي فإن لكل اختيار فيه حكمة بالغة، وفي هذا المبحث ندرس بعض التعابير والألفاظ ضمن سياقاتها في الحديث النبوي، ومحاولة الوصول إلى دلالاتها العميقة.

المطلب الأول: مناسبة السجع للسياق:

1- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَهْ فَأَصْلِحْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ.** [1]

الحديث الشريف الذي بين أيدينا جاء في سياق غزوة الخندق فكان في ظروف قاسية من برودة جو وجوع ونصب أصاب الصحابة الكرام[2] الملاحظة في هذا الحديث الشريف أنه جاء دعاء مسجوعا، وقد ذكرنا فيما سبق أن السّجع في كلامه صلى الله عليه وسلمه ليس من

1 - البخاري: الجامع الصحيح / 6413 /.

2- ينظر: ابن حجر: فتح الباري: تح: عبد العزيز ابن باز ومحمد عبد الباقي، مؤسسة الرسالة، الجزائر، دط ، دت، ص 252 .

أجل الصنعة اللفظية بل تستدعيه ظروف ومقامات محددة كالتحفيز، كما هو الحال في هذا الحديث الشريف؛ حيث جاء مسجوعا وذا جرس شجي استدعاه المقام المذكور آنفا؛ لأجل رفع معنويات الصحابة الكرام وتحفيزهم للمضي قدما في عملهم وجهادهم .

2-...عن ابن عَبَّاسٍ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ مِثْلَ وَادٍ مَالًا لَأَحَبَّ أَنَّ لَهُ إِلَيْهِ مِثْلَهُ **وَلَا يَمْلَأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ** قَالَ

ابْنُ عَبَّاسٍ فَلَا أَدْرِي مِنْ الْقُرْآنِ هُوَ أَمْ لَا. [1]

في الحديث الشريف الذي بين أيدينا يبرز النبي صلى الله عليه وسلم الجبلة التي فُطر عليها ابن آدم من فرطه لحب المال " وأنه لا يشبع من جمعه إلا من حفظه الله تعالى لإزالة هذه الجبلة عن نفسه وقليل ما هم"[2]، فجاء تذييل الحديث مسجوعا، كما أن السجع في كلامه يأتي أحيانا للتحفيز؛ فإنه في هذا المقام أتى لتجريس وتقريع هذا الإنسان، وقد ساهم في تعضيد وإبراز هذا المعنى تكرار صوت الباء في كلمتي (التراب وتاب) ومعلوم أن صوت الباء صوت انفجاري تنتجه الشفتان بعد ضمة شديدة يعقبها انطلاق للنفس بقوه لها جرس على الأذن ينبه ذهن هذا الغافل المستغرق في حب المال ولا يرى من همته سواه.

3- البخاري: الجامع الصحيح /6437 /.

1- ابن حجر: فتح الباري، تح: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، ص58 .

ولأن القران الكريم أُنزل عليه بلسانه فظهر جليا في هذا الحديث تأثر منطق رسول الله صلى الله عليه وسلم بأساليبه حتى أن ابن عباس أشكل عليه هذا القول؛ حيث قال في نهاية هذا الحديث (فلا أدري من القرآن هو أم لا).

3 – عن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَى الْمُغِيرَةِ أَنْ اكْتُبْ إِلَيَّ بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُغِيرَةُ إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ الصَّلَاةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ثَلَاثَ

مَرَّاتٍ قَالَ **وَكَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةِ الْمَالِ وَمَنْعٍ وَهَاتِ وَعُقُوقِ الْأُمَّهَاتِ وَوَأْدِ الْبَنَاتِ** .[1]

الحديث الشريف جاء في سياق نهي عن خصال متعددة في قالب مسجوع له إيقاع يتناسب مع هذا المقام، والملاحظ أن كلمات هذا الحديث المسجوعة انتقلت نهاياتها بين صوتي اللام والتاء فكانت الكلمات المنتهية بصوت اللام هي (قيل – قال – السؤال – المال) حيث إن صوت اللام مجهور وله وقع خاص وإيحاءات معنوية يستشعرها السامع يقول العلايلي في صفته إنه:" يدل على الانطباع بالشيء بعد تكلفه"[2]، وهو ما يناسب الألفاظ التي وردت في الحديث من حيث كونها انطباعا بشيء وتكلفه؛ وذلك أن القيل

[1] – البخاري: الجامع الصحيح / 6473 .
[2] - العلايلي : تهذيب المقدمة اللغوية، ص 64.

والقال ثرثرة، وكثرة السؤال فضول، وإضاعة المال إسراف وتبذير، والجامع بين هذه الخصال كلها هو التكلف.

ثم انتقل السجع إلى صوت التاء في كلمات (الأمهات – هات – بنات)؛ حيث إن الكلمات التي يتذيلها حرف التاء غالبا ما توحي بالوهن والضعف حيث أحصى حسن عباس عدة مصادر من المعجم الوسيط تنتهي بحرف التاء توحي بنفس المعنى منها (هبت – سكت – قنت – صمت)[1] والملاحظ أن الكلمات التي وردت في الحديث كلها متضمنة معنى الضعف، فالأمهات والبنات تلتصق بهن صفات الضعف والحنان والرقة، فكان النهي عن ظلمهن، لأجل رحمة ضعفهن، وكلمة (هات) متضمنه معنى الضعف من حيث كونها احتياجا للآخرين، فكان النهي عن التذلل للناس واحتقار الأنفس أمامهم، فكان السجع متساوقا مع معانى النهي الوارد في الحديث.

4- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ **هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ.** [2]

في الحديث الشريف تبشير من النبي صلى الله عليه وسلم لفئة من الناس بأنهم ممن يدخلون الجنة بغير حساب وذلك لاتصاف بصفات تؤهلهم عند الله لتبوّئ هذه المكانة، فذكر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هذه الصفات في قالب مسجوع بقوله: (لا يسترقون ولا

[1] – ينظر: حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 58 . 59.

[2] – البخاري: الجامع الصحيح /6482 /

يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) وذلك ترغيبا منه للتحلي بهذه الخصال والتزام غرزها، فالسجع يرسّخ هذه الألفاظ في ذهن السامع، والملاحظ في هذه الكلمات المسجوعة أنها تنتهي بحرف النون ذي الغنة التي تضفي ترنما على هذه الكلمات يقع من نفس السامع موقعا حسنا فيحثه على الاستئناس بهذا القول والاستجابة له.

5 - حَدَّثَنَا عَلِيٌّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ عَمْرٌو سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّكُمْ مُلَاقُو اللَّهِ **حُفَاةً عُرَاةً مُشَاةً غُرْلًا** قَالَ سُفْيَانُ هَذَا مِمَّا نَعُدُّ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ سَمِعَهُ مِنْ النَّبِيِّ. [1]

في الحديث الشريف يصف النبي للصحابة حال الناس حين الموقف أمام المولى عز وجل يوم القيامة، فلخص هذه الحال في بضع كلمات مسجوعة تنتهي بحرف التاء، ورغم أن هذه التاء ليست أصلية إلا أنّها تساوقت مع معاني الذلة والمهانة التي في هذه الألفاظ وقد ذكرنا سابقا أن التاء حين تتذيل الكلمات؛ توحي هذه الكلمات بنسب كبيرة معاني الضعف، لذا فالنبي –عليه الصلاة والسلام – أراد من خلال هذا القول إبراز الانكسار والمهانة أمام الله سبحانه وتعالى من جهة، والإيحاء بعظم الموقف من جهة أخرى.

المطلب الثاني : مناسبة الألفاظ للسياق:

1 – { عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ **فَالنَّجَا**

[1] – البخاري: الجامع الصحيح / 6524 /.

النَّجَاءَ فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ فَأَدْلَجُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَوْا وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحَهُمْ الْجَيْشُ فَاجْتَاحَهُمْ }

[1]

في هذا الحديث الشريف مثل النبي نفسه لما بعث من قبل الله لهداية الناس كأنه نذير قوم يوشك أن يباغتهم العدو فأسرع إليهم ليخبرهم باقتراب الخطر منهم، ومن بين العبارات التي حذر بها هذا النذير قومه قوله: (فالنجا النجاء)، والعجيب في هذه العبارة أنها وافقت المقام تماما حيث أن الملاحظ في كلمة (النجا) الأولى جاءت محذوفه الهمزة، والهمزة صوت شديد انفجاري ينتج بعد احتباس الهواء في الحلق هنيئة " وقد لاحظ القدماء أن هذه الصفات الخاصة بالهمزة هي سبب ما يعتريها من حذف تام" [2] لذا فالهمزة تُحذف للاستثقال والملاحظ أن المقام مقام سرعه حيث أن هذا النذير يحثُّ قومه على الإسراع لينجوا بأنفسهم لذا كان هذا التعبير مناسبا، وما كان لإثبات الهمزة أن يكون كذلك؛ لأن في إثباتها استثقال وبطء لا يتناسبان مع هذا المقام.

2 –عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ

[1] – البخاري: الجامع الصحيح / 4682 / .

[2] – طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، الإسكندرية، دط، 1998م، ص83 .

فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ **فَيَقْتَحِمْنَ** فِيهَا فَأَنَا آخُذُ **بِحُجَزِكُمْ** عَنْ النَّارِ وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا. [1]

في الحديث الشريف تمثيل آخر من النبي صلى الله عليه وسلم لحاله وحال الناس لمّا أوكل له أمر هدايتهم فشبّه النّاس كتلك الهوام الليلية التي تلحق منبع النور فلا تفرق بينه وبين النار وشبه نفسه بالرجل الذي يمنع هذه الهوام من أن تحترق بالنار ظنا منها أنها نور، فكان هذا الإنقاذ تدريجيا وبحسب الفعل تكون ردة الفعل؛ فعبّر عن فعل هذه الدواب الأول بقوله (يقعن) فكان رد الفعل من الرجل بالفعل (ينزعهن)؛ لأن الوقوع ليس بالفعل العنيف، فتطلب المقام ردّة فعل من الرجل مشابهة، أماها في المرحلة الثانية فعبّر بالفعل (يقتحمنّ) "وتقحيم النفس في الشيء إدخالها فيه من غير روية "[2]، وبالتالي فهذا الفعل فيه شيء من العنف فاقتضى ردّة فعل أقوى فعبر بقوله: (آخذ بحُجَزِكم)، والأخذ فعل عنيف، والحُجَزُ هو جمع حُجَزَة "وحجزة الإنسان معقد السراويل والازار" [3]، وبالتالي انتقل التعبير من كونه عن تلك الهوام إلى كونه أَخْذٌ للناس من ثيابهم لئلا يقتحمون في النار فكان انتقالا سلسا منه – صلى الله عليه وسلم – من الحديث عن ذلك الرجل إلى الحديث عن نفسه بقوله (فأنا آخذ بحججكم).

[1] – البخاري: الجامع الصحيح /6483 /.

[2] – ابن منظور: لسان العرب، مادة (قحم).

[3] - نفسه: مادة (حجز) .

وهذا التصوير والتمثيل كله يتناسب تماما مع مراحل دعوته للناس؛ فتلك الأفعال الأربعة هي واقعية فعلا؛ فقوله: (يقعن) يقابل ما كان عليه الناس من جاهليه وغفلة، وقوله: (ينزعهن) يقابل المرحلة الأولى من دعوته الناس للإسلام وهدايتهم وإنقاذهم مما هم فيه، وقوله: (يقتحمنّ) بالنون الثقيلة يقابل إنكار الناس وجحودهم لدين الله وقوله: (آخذ) يقابل المرحلة القصوى من الدعوة ألا وهي قتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله؛ بحيث أن فعل الجحود ملزم لردة فعل أقوى وهذا كله من أجل إنقاذ النّاس من عذاب النار يوم القيامة...

3- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَامَ فِينَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فَقَالَ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً { كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ } الْآيَةَ وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ يَا رَبِّ **أَصْيحَابِي** فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. [1]

في الحديث الشريف يحكي النبيّ موقفا من مواقف الحشر يوم القيامة، وهو أن جماعة من أمته يؤخذون ذات الشمال إذ استوجب لهم العذاب، فلما رآهم النبي نادى ربه قائلا: (يا رب أُصَيْحَابِي)، الملاحظ في قوله (أصيحابي) أنه جاء بصيغة التصغير "وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره هؤلاء"[2]، فصيغة التصغير لها فوائد عدة، من بينها تقليل كمية الشيء، وأيضا

[1] – البخاري: الجامع الصحيح /6526 / .

[2] – العسقلاني: فتح الباري، تح: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، ص 335 .

لتقريب منزلته[1] فكان التصغير مناسبا لهذا المقام؛ كونه أفاد تقريب منزلة هؤلاء الرجال منه كونهم من أمته، وقد يكون لقلة عددهم، وفي صيغة التصغير (أصيحابي) نلمس معنى طلب الرحمة لهؤلاء الناس من الله سبحانه، فنلاحظ أن كلمة أصيحابي جاءت مناسبة لهذا المقام لِمَا فيها من استلطاف ورقّة تناسب مقام الرأفة بحال هؤلاء القوم.

4 – { عَنْ أَنَسٍ أَنَّ أُمَّ حَارِثَةَ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ هَلَكَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ غَرْبُ سَهْمٍ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْتَ مَوْقِعَ حَارِثَةَ مِنْ قَلْبِي فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ لَمْ أَبْكِ عَلَيْهِ وَإِلَّا سَوْفَ تَرَى مَا أَصْنَعُ فَقَالَ لَهَا **هَبِلْتِ** أَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ وَإِنَّهُ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى }.[2]

الحديث الشريف عبارة عن حوار دار بين النبي – صلى الله عليه وسلم – وصاحبية استشهد ابنها يوم بدر فقالت: إن لم يدخل ابني الجنة (ترى ما أصنع)، ويفهم من قولها أنه إن لم يحدث هذا فستجزع وتبكي، ويفهم هذا من السياق، فقال النبي لها: هبلت؟ أهي جنة واحدة...

إن قول النبي لها (هبلت) جاء مناسبا لهذا المقام و لن يغني قول آخر عنه في هذا السياق؛ "فالهبل الثكل، هبلته أمه ثكلته"[3]، وموت ابن هذه المرأة لم يكن موتا عاديا وإنما كان استشهادا في سبيل الله، والله سبحانه وتعالى يقول في هذه الفئة من الناس: ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ

[1] – ينظر: عبد الغني الدقر: معجم النحو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1408هـ. 1986م، ص 101.
[2] - البخاري: الجامع الصحيح / 6567 /.
[3] – ابن منظور: لسان العرب، مادة (هبل) .

الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران،169] فرَدُّ النّبي عن تلك المرأة بقوله: هبلت؟ تناسب مع مقالتها: (ترى ما أصنع) وكأنها من ثكالى الجاهلية، أو ممن مات ابنه ولم يستشهد، فبقوله: هبلت؟ كأنه يقول لها: أنت لست ثكلى؛ أنت لم تفقدي ابنك بل هو حي عند الله، وفي مقام أفضل من الحياة الدنيا.

5- قال النبي صلى الله عليه وسلم:{... وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَ لَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا **وَلَنَصِيفُهَا** يَعْنِي الْخِمَارَ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا} [1]

في هذا المقطع من الحديث يصف النبي – صلى الله عليه وسلم – مزايا نساء الجنة؛ ومن بين المزايا التي ذكرها قوله: (ولنصيفها خير من الدنيا وما فيها)، فكلمه نصيف فسروها على أنها (خمار) إلا أن المقام مقام وصف لحسن نساء الجنة فما كان ليكون لفظ خمار مناسبا، بل إن لفظ (نصيف) أحكم لهذا المقام؛ فالخمار من جذر (خمر) والنصيف من جذر (نصف) وبعقد مقارنة بينهما من خلال إيحاءات أصواتهما نجد أن صوت الخاء صوت تمجُّه النفس، ولقد أحصى حسن عباس ما مجموعه مئة وخمسة وثلاثون مصدرا من المعجم الوسيط تدل على معان مُنفرّة وتشمئز لها النفس ومنها (خبث – خنن – خرب – خدع –

[1] - البخاري: الجامع الصحيح /6567/.

خيبة)[1]، وحرف الميم يوحي بمعاني الانجماع والانكماش والتضييق كما مرّ بنا، أمَّا الراء فأغلب معانيه التكرار.

وأما كلمة (نصيف)؛ فصوت النون فيه أناقه ورقّة، وقد أحصى حسن عباس مئة وعشرين مصدرا تبدأ بحرف النون من المعجم الوسيط توحي بهذه المعاني[2]، وأما صوت الصاد فمهموس رخو ومن موحياته نعومة الملمس ونقاء الصوت وصفاء الصور وذكاء المعنى[3] وأما عن صوت الفاء هو الآخر مهموس رخو، وبالتالي فإن لفظي (نصيف وخمار) يختلفان من خلال صفات الأصوات المشكل لكل منهما، وبمجرد نطق بكلمه نصيف تستشعر النفس معنى فيه صفاء ونقاء، والمقام كما رأيناه هو وصف النّبي لصفات حسان نساء الجنة لذا كانت كلمة نصيف كلمة معبرة وفي سياقها المناسب.

6 – {...عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى لَنَا يَوْمًا الصَّلَاةَ ثُمَّ رَقِيَ الْمِنْبَرَ فَأَشَارَ بِيَدِهِ قِبَلَ قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ قَدْ أُرِيتُ الْآنَ مُنْذُ صَلَّيْتُ لَكُمْ الصَّلَاةَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مُمَثَّلَتَيْنِ فِي قُبُلِ هَذَا الْجِدَارِ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّر}[4]

[1] ـ ينظر: حسن عباس: خصائص الخروف العربية، ص174 - 175 .
[2] ـ ينظر: نفسه، ص160 ... 162.
[3] – ينظر: نفسه، ص 149 .
[4] – البخاري: الجامع الصحيح / 6468 /

الملاحظ في هذا الحديث الشريف تكرار عبارة (فلم أر في الخير والشر كاليوم) وذلك لماّ رأى النبي الجنة والنار، ولكي يوصل للصحابة الانطباع الذي تركه فيه هذا المشهد كرر هذه العبارة تأكيدا على المعنى من جهة ، وللإغراء والتحذير من جهة أخرى، فعبارة (لم أر في الخير والشر كاليوم) المكررة مرتين تحمل في طياتها أسلوبي الإغراء والتحذير، فكانه قال: الخير الخير على الإغراء؛ للترغيب في الأعمال التي تقرب إلى الجنة، والشر الشر على التحذير؛ للبعد عن الأعمال التي تقر إلى النار، فأسلوب التكرار هذا تأكيد مشحون بعاطفتي الخوف والرجاء استدعاه المقال، والمقام هنا مقامان؛ فالأول رؤية النبي لعظم الخير والشر، والثاني لأنه مقام وعظ؛ فالنبي ألقى هذا القول من على منبره.

الخاتمة

تمت هذه الدراسة الموسومة بأثر الصوت والسياق في بيان المعنى في الحديث النبوي الشريف فيما اعتقدنا أنه استيفاء لما قصدناه ومن أهم النتائج التي توصلنا اليها :

1- في الكلمات التي عثرنا على أثر الصوت فيها دالاّ على المعنى يكون المعنى العام للكلمة مشكل من مجموع إيحاءات الأصوات المشكلة لها وأحيانا تكون هذه الإيحاءات مرتِبةٌ لمراحل الحدث وعلى حسب ترتيب أصوات الكلمة الأول فالأول.

2- علاقة الصّوت بالمعنى في كتاب الرقائق غالبا ما تتجلّى في الأفعال بالدّرجة الأولى وفي الصفات بالدرجة الثانية .

3- صفات الأصوات و إيحاءاتها المعنوية فعلا تناسبت مع معاني ألفاظ الترغيب والترهيب في ما درسناه.

4- الأصوات اللغوية لا تتقيد بصفاتها الثابتة الموضوعة لها مفردة، بل تتجاوز ذلك إلى صفات أخرى مغايرة بحسب موقعها من الكلمة، كما أنّ إيحاءاتها أيضا تختلف بحسب هذا الموقع .

5- الكلمة العربية تمتاز بخصوصية في مجال علاقة الصوت بالمعنى كونها لم تتغير منذ نشأتها لذا فأصواتها ما تزال على علاقه وطيدة بإيحاءاتها، لذا فلا مجال لمقارنتها بالتطبيقات الغربية على لغاتها؛ كون هذه اللغات كالفرنسية مثلا الكلمات فيها فقدت المعالم التي كانت عليها منذ نشأتها .

6- سياق الحال في أحاديث كتاب الرقائق خادم للسياق اللغوي، فلا بد من مراعاته للوقوف على أسباب اختيار تعابير دون غيرها، أو الوقوف على تلك التعابير التي نلحظ فيها غرابة في البلاغة النبوية.

7- السجع في أحاديث كتاب الرقائق له ارتباط وطيد بالموعظة المقصود بها التأثير في المتلقي.

الملخص :

جماع القول في هذه الدراسة أنها بحث صوتي سياقي يهدف للوصول الى مدى تجسيد الإيحاءات الصوتية لمعاني بعض ألفاظ الأحاديث النبوية من كتاب الرقائق الذي يجمع بين أحاديث الترغيب والترهيب؛ وذلك بوصف أصوات تلك الألفاظ والوقوف على إيحاءاتها المعنوية، والتوفيق بين مجموع هذه الإيحاءات ليبرز الإيحاء المعنوي العام للفظ.

ومن زاوية أخرى يهدف هذا البحث لمعرفه ما مدى تأثير السياقات المختلفة في اختيار ألفاظ وتعابير دون غيرها في أحاديث الرقائق، والكشف عن التناسب الوطيد بين معاني هذه الاختيارات والسياق.

الكلمات المفتاحية :

الصوت – المعنى – السياق – الايحاء –الحديث النبوي

Summary

The consensus in this study is that it is a audio-contextual that aims to reach the extent to which the phoneme embodies the meanings of some of the words of the prophetic hadiths from the Book of Raqaiq, which combines hadiths of enticement and intimidation by describing the voices of these words and standing on their moral suggestions and reconciling the total of these suggestions to show the moral suggestion of the word.

From another angle, this research sheds a light on how to find out the extent to which the different contexts influence the choice of words and expressions to the exclusion of others in the speeches of the chips and to reveal the solid proportionality between the meanings of these choices and the context.

Key words

Voice – Meaning – Context – Prophetic hadith - Suggestion

Résumé

La notion unanime dans cette étude est qu'il s'agit d'une étude audio-contextuelle qui vise à atteindre la mesure dans laquelle les connotations phonémiques incarnent la signification de certains mots des hadiths du livre al-Reqayiq, qui cumule les hadiths de Targhibe et de Tarhib .A travers la décription des sons de ces expressions et en se tenant sur leurs suggestions morales, et en conciliant l'ensemble de ces suggestions pour mettre en évidence la suggestion morale générale du mot.

Sous une autre percpective, cette recherche vise à connaître l'étendue de l'influence des différents contextes dans le choix des mots et des expressions par rapport aux autres dans les discours du livre al-Reqayiq, et à révéler la solide proportionnalité entre les significations
Mots clés

audio ــ Signification ــ Contexte ـ Hadith du prophète - Suggestionde ces choix et le contexte.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

1. إبراهيم أنيس: الأصوات، مكتبة نهضة مصر، مصر، د ط، د ت.
2. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1966م.
3. أبو الفتح عثمان بن جني : الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر، ج1، دط، دت.
4. أبو الفتح عثمان بن جني: سر صناعة الإعراب، تح: حسن الهنداوي، دط، دت.
5. أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، تح:عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1402هـ1982م، ج4.
6. أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي : الجامع لشعب الايمان، تح: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الشرد، الرياض، ط1، 1423 ـ 2003م ، ج3.
7. أبو بكر بن شرف النووي: رياض الصالحين، تح: ماهر ياسين الفحل، ابن كثير، دمشق، ط1 ، 1428 هـ ـ 2007م .
8. أبو بكر عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة،ط3، 1413 هـ .1992م.
9. أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي،ج7 .
10. أبو عثمان الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7 ، 1418هـ، 1996م.
11. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ج1- أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، مصر، دط، دت، ج1.
12. أبو علي الحسين بن عبد الله ابن سينا: أسباب حدوث الحروف، تح، محمد حسان الطيان ويحي مير علم، مجمع اللغة العربية، دمشق، دط، دت.

13. أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي : شمائل النبي، تعليق: مصطفى ديب البغا، دار الهدى، عين مليلة، د ط، د ت.

14. أبو هلال الحسين بن عبد الله بن سهل العسكري: الصناعتين، تح: محمد البخاري ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1371هـ .1952م.

15. أبو هلال الحسين بن عبد الله بن سهل العسكري: الصناعتين، تح: محمد البخاري ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1371هـ، 1952م.

16. أحمد إبراهيم موسى: الصبغ البديعي في اللغة العربية، دار الكتاب العربي، مصر، 1388هـ، 1969م.

17. أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.

18. أحمد مطلوب اساليب بلاغية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، ص1980 .1989 م.

19. إخوان الصفاء وخلان الوفاء : رسائل إخوان الصفاء ، مراجعة: خير الدين الزركلي، مؤسسة هنداوي ،سي آي سي المملكة المتحدة، دط، 2018 ، ج1 .

20. برجشسترآسر: التطور اللغوي، نقلا عن، هيام سليم عبد اللطيف ناصيف: الدرس الصوتي في شافية ابن الحاجب وشرحه للأستراباذي، مذكرة ماجستير في اللغة العربية وأدابها، جامعة النجاح، نابلس، 1424هـ– 2003م.

21. تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها، الدار البيضاء، ط1، 1994.

22. جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تعليق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين، دار التراث، القاهرة' ط3، 2008، ج1 .

23. جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب.

24. حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، إتحاد الكتاب العرب،دط، 1998م.

25. حسن عباس: خصائص الحروف العربية ومعانيها، إتحاد الكتاب العرب،دط، 1998م.

26. زكي الأرسوزي: اللسان العربي، نقلا عن: حسن عباس: خصائص الحروف العربية، 144 م

27. زكـي الأرسـوزي، العبقريـة العربيـة فـي لسـانها، دار اليقظـة العربيـة، دمشـق، دط، 1962م.

28. سراج الدين أبي حفص عمر بن علي الأنصاري: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تح: دار الفلاح، إدارة الشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1429هـ .2008م، مج3.

29. سراج الدين أبي حفص عمر بن علي الأنصاري: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تح: دار الفلاح، إدارة الشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1429هـ .2008م، مج3.

30. سعيد جمعة: البيان بالسكوت في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، جامعة الأزهر.

31. سعيد حميصة، البيان بالسكوت في حديثه صلى الله عليه وسلم.

32. سيد خضر: التكرار الإيقاعي في اللغة العربية، دار الهدى للكتاب، كفر الشيخ، ط1، 1418هـ . 1998م.

33. سـيد خضـر: التكـرار الإيقـاعي فـي اللغـة العربيـة، دار الهـدى، كفـر الشـيخ، ط1، 1478هـ . 1998م.

34. السيوطي: التوضيح في شرح الجامع الصحيح، تح: رضوان جامع رضوان، مكتبة الرشيد، الرياض، ط1 ،1419 . 1998 .

35. السيوطي: التوضيح في شرح الجامع الصحيح، تح: رضوان جامع رضوان، مكتبة الرشيد، الرياض، ط1 ،1419 . 1998م.

36. شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني: إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري، ضبط: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ . 1996 م، ج13.

37. شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح البخاري، تح: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، الرسالة العالمية، دمشق، ط1، 1434هـ . 2013م، ج10.

38. طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، الإسكندرية، دط، 1998م.

39. عباس محمود العقاد : عبقرية محمد،، نهضة مصر، مصر، د ط ، د ت .

40. عباس محمود العقاد: أشتات مجتمعات في اللغة العربية ، مؤسسة هنداوي، القاهرة، د ط، 2012م.

41. عبد الرحمان بن محمد بن خلدون: المقدمة، إعتناء أحمد الزعبي، دار الهدى ، عين مليلة، دط، دت.

42. عبد الغني الدقر: معجم النحو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1408هـ- 1986م.

43. عبد الفتاح البركاوي: دلالة السياق، نقلا عن ، عيد بليغ: السياق وتوجيه دلالة النص، بلنسية للنشر والتوزيع ، المدينة المنورة 1429هـ-2008م ط5 ،1998.

44. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، جامعة الأزهر.

45. عبد الله العلايلي: تهذيب المقدمة اللغوية، دار السؤال، دمشق، ط3، 1406هـ1985م.

46. عريب محمد عيد: الخطاب النبوي خريطة البيان العربي، دار الثقافة، الأردن، ط1، 1436هـ، 2015م .

47. علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، دار قباء الحديثة، القاهرة، د ط، 2011م.

48. الفخر الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، نقلا عن: سيد حضر: التكرار الإيقاعي في اللغة العربية.

49. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، دار العلم للجميع، بيروت،دط،دت.

50. القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي المغربي: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، بيروت، ط1، 1424 . 2004م .

51. الكرمالي : شرح الكرمالي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2 ،1401 . 1981م، ج23.

52. كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، دط، 2000م. - مدحت حسيني حسيني ليمونة: البلاغة الصوتية في الأحاديث النبوية، جامعة الأزهر، مصر، دط، دت.

53. كمال عز الدين: الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، دار اقرأ، بيروت، ط1، 1404هـ . 1984م.

54. محمد الرازي فخر الدين، الفراسة، تح: مصطفى عاشق، مكتبة القرآن، القاهرة، د ط، د ت.

55. محمد الصباغ: الحديث النبوي (مصطلحه . بلاغته . كتبه)، المكتب الإسلامي، بيروت ، ط4، 1401هـ . 1981م .

56. محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، دمشق، دط، دت.

57. محمد بن يوسف الصالح الشامي: سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد، تح: مصطفى عبد الواحد، وزارة الأوقاف ، مصر، د ط، 1418هـ - 1998م ،ج2.

58. محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، دط، دت.

59. محمود بن عمر لزمخشري: الفائق في غريب الحديث: تح: علي محمد البخاري ومحمد أبو الفضل إبراهيم: عيسى البابي الحلبي، سوريا، ط2، د ت.

60. مدحت حسيني حسيني ليمونة، البلاغة الصوتية في الأحاديث النبوية، جامعة الأزهر، دط، دت.

61. ¯مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، راجعه: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، د ط، د ت .

62. مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ 2000م،ج3.

63. نور الدين عتر: أهم الملامح الفنية في الحديث النبوي، مركز بحوث السنة والسيرة، جامعة قطر، العدد 7، 1414هـ- 1993م.

الملحـــق

ملحق الأحاديث لكتاب الرقائق من صحيح البخاري :

1- رقم الحديث- **(6417)**- {...عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا مُرَبَّعًا وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ وَقَالَ هَذَا الْإِنْسَانُ وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا **نَهَشَهُ** هَذَا}.

2-رقم الحديث- **(6427)** - {...قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ..أَلَا يَأْتِي الْخَيْرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ وَإِنَّ كُلَّ مَا أَنْبَتَ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ **حَبَطًا** }.

3-رقم الحديث- **(6443)**-{... إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمْ الْمُقِلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ خَيْرًا **فَنَفَحَ** فِيهِ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا}.

4-رقم الحديث- **(6497)** - {...حَدَّثَنَا حُذَيْفَةُ قَالَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَيْنِ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ حَدَّثَنَا أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ثُمَّ عَلِمُوا مِنْ الْقُرْآنِ ثُمَّ عَلِمُوا مِنْ السُّنَّةِ وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ **فَنَفِطَ** فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ}.

5- رقم الحديث-**(6517)** - { فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ فِي أَوَّلِ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَكَانَ مُوسَى فِيمَنْ **صَعِقَ** فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَثْنَى اللَّهُ}.

6- رقم الحديث-(**6520**) – {... قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً **يَتَكَفَّؤُهَا** الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ. فَأَتَى رَجُلٌ مِنْ الْيَهُودِ فَقَالَ بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَلَا أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }.

7- رقم الحديث-(**6558**) – { حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ عَمْرٍو عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ كَأَنَّهُمْ **الثَّعَارِيرُ** قُلْتُ مَا الثَّعَارِيرُ قَالَ **الضَّغَابِيسُ** ...}.

8- رقم الحديث-(**6560**) – { ... إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ يَقُولُ اللَّهُ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيَخْرُجُونَ قَدْ **امْتُحِشُوا** وَعَادُوا حُمَمًا...}.

9- رقم الحديث-(**6564**) – {...عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي **ضَحْضَاحٍ** مِنْ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ}.

10-رقم الحديث-(**6573**)-{...إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنْ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ امْتُحِشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ قَدْ **قَشَبَنِي** رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا...}.

11- رقم الحديث-(**6413**)- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ **اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَهْ فَأَصْلِحْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ.**

12- رقم الحديث-(**6437**) - حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ أَخْبَرَنَا مَخْلَدٌ أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ قَالَ سَمِعْتُ عَطَاءً يَقُولُ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ مِثْلَ وَادٍ مَالًا لَأَحَبَّ أَنَّ لَهُ إِلَيْهِ مِثْلَهُ وَلَا يَمْلَأُ عَيْنَ **ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ** قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَلَا أَدْرِي مِنْ الْقُرْآنِ هُوَ أَمْ لَا قَالَ وَسَمِعْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ ذَلِكَ عَلَى الْمِنْبَرِ.

13- رقم الحديث-(**6473**) - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ أَخْبَرَنَا غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُغِيرَةُ وَفُلَانٌ وَرَجُلٌ ثَالِثٌ أَيْضًا عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ وَرَّادٍ كَاتِبِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَى الْمُغِيرَةِ أَنْ اكْتُبْ إِلَيَّ بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُغِيرَةُ إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ الصَّلَاةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ **قَالَ وَكَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةِ الْمَالِ وَمَنْعٍ وَهَاتِ وَعُقُوقِ الْأُمَّهَاتِ وَوَأْدِ الْبَنَاتِ** وَعَنْ هُشَيْمٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ قَالَ سَمِعْتُ وَرَّادًا يُحَدِّثُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ الْمُغِيرَةِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

14- رقم الحديث-(**6498**) - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ **إِنَّمَا النَّاسُ كَالْإِبِلِ الْمِائَةِ لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً.**

15- رقم الحديث-(**6482**)- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ **فَالنَّجَا النَّجَاءَ** فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ فَأَدْلَجُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَوْا وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحَهُمْ الْجَيْشُ فَاجْتَاحَهُمْ.

16- رقم الحديث- **(6483)** - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ **فَيَقْتَحِمْنَ** فِيهَا فَأَنَا آخُذُ **بِحُجَزِكُمْ** عَنْ النَّارِ وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا.

17- رقم الحديث-**(6472)** - حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ سَمِعْتُ حُصَيْنَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ كُنْتُ قَاعِدًا عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ **هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**.

18- رقم الحديث-**(6524)** - حَدَّثَنَا عَلِيٌّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ عَمْرٌو سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ **إِنَّكُمْ مُلَاقُو اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً مُشَاةً غُرْلًا** قَالَ سُفْيَانُ هَذَا مِمَّا نَعُدُّ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ سَمِعَهُ مِنْ النَّبِيِّ.

19- رقم الحديث-**(6526)** - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ النُّعْمَانِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَامَ فِينَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فَقَالَ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً { كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ } الْآيَةَ وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي **أُصَيْحَابِي** فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ { وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ إِلَى قَوْلِهِ الْحَكِيمُ } قَالَ فَيُقَالُ إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ.

20- رقم الحديث- **(6468)** - حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ هِلَالِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى لَنَا يَوْمًا الصَّلَاةَ ثُمَّ رَقِيَ الْمِنْبَرَ فَأَشَارَ بِيَدِهِ قِبَلَ قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ

قَدْ أُرِيتُ الْآنَ مُنْذُ صَلَّيْتُ لَكُمْ الصَّلَاةَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مُمَثَّلَتَيْنِ فِي قُبُلِ هَذَا الْجِدَارِ **فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ**.

بَاب الرَّجَاءِ مَعَ الْخَوْفِ وَقَالَ سُفْيَانُ مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ { لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ }.

الفهرس

المحتوى	الصفحة
مقدمة	أ– هـ
الفصل التمهيدي :	
أولا : الصوت	07
أ– المفهوم العام للصوت	08
ب– مفهوم الصوت اللغوي (مخارج الحروف وصفاتها)	14
ثانيا : السياق	23
– مفهوم السياق (لغة واصطلاحا)	25
– أنواع السياق :	26
أ– السياق اللغوي	26
ب– السياق العاطفي	26
ج– سياق الموقف	26
د– السياق الثقافي	26
– مكونات سياق الموقف	27
– مرادفات السياق عند العلماء القدامى	29
الفصل الأول : فصاحة النبي وبلاغته بين السلف والخلف	34
المبحث الأول : فصاحة قول منطقه صلى الله عليه وسلم	35
المطلب الأول : فصاحته صلى الله عليه وسلم في الحديث والاثر	35
المطلب الثاني : أقوال العلماء في فصاحته صلى الله عليه وسلم	40
المبحث الثاني : ما جاء في البلاغة النبوية	47
المطلب الأول : نفي الشعرية عنه صلى الله عليه وسلم	49
المطلب الثاني : السجع في كلامه صلى الله عليه وسلم	52
المطلب الثالث : البلاغة في صمته صلى الله عليه وسلم	55
المطلب الرابع : تأثير كلامه صلى الله عليه وسلم في المتلقي	58

الفصل الثاني : (تطبيقي) أثر الإيحاء الصوتي والسياق في إبراز المعنى في كتاب الرقائق من صحيح البخاري	61
المبحث الأول : أثر الإيحاءات الصوتية في تصوير المعنى **المبحث الثاني** : أثر السياق في اختيار الألفاظ والتعابير **المطلب الأول** : مناسبة السجع للسياق **المطلب الثاني** :مناسبة الألفاظ للسياق	62 89 89 93
الخاتمة	101
الملخص	104
قائمة المصادر والمراجع	106
الملحق : الأحاديث المدروسة من صحيح البخاري – كتاب الرقائق	112
الفهرس	118